المختار الاسلامى

www.almokhtar-aleslami.com مجلة كل المسلمين

العدد ٣٧٦ – السنة ٣٥ – ٢٨ ذو الحجة ١٤٣٤هـ – ٢ نوفمبر ٢٠١٣م – الثمن خمسة جنيهات

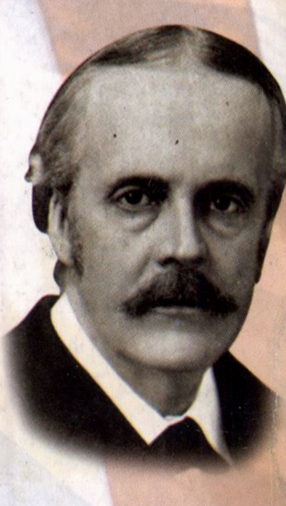

- جراحة فى جسد الوهم !!
- بين بلفور .. واتفاق أوسلو
- رجل فى المنفى
- عمليات الانتقال الكبرى فى تاريخ الأمم تتطلب زمنا وصبرا

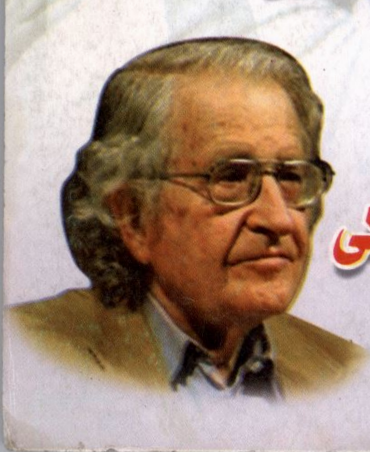

- أمريكا كما يراها مفكر أمريكى

مع الباعة والمكتبات ودور النشر

خصم ٢٠٪ لقراء المختار الإسلامى وللجملة سعر خاص

اسم الكتاب	اسم المؤلف	السعر
الظل الأسود	د. نجيب الكيلانى	٦,٠٠
حارة اليهود	د. نجيب الكيلانى	٦,٠٠
عذراء چاكرتا	د. نجيب الكيلانى	٦,٠٠
ليالى تركستان	د. نجيب الكيلانى	٦,٠٠
عمالقة الشمال	د. نجيب الكيلانى	٦,٠٠
رحلة إلى الله	د. نجيب الكيلانى	٨,٠٠
نور الله - الجزء الأول	د. نجيب الكيلانى	٨,٠٠
نور الله - الجزء الثانى	د. نجيب الكيلانى	٨,٠٠
على أبواب خيبر	د. نجيب الكيلانى	٦,٠٠
سرايىڤو حبيبتى	د. نجيب الكيلانى	٣,٠٠
أميرة الجبل	د. نجيب الكيلانى	٦,٠٠
نهاية طاغية	د. نجيب الكيلانى	٣,٠٠
الرايات السوداء	د. نجيب الكيلانى	٧,٠٠
رمضان حبيبى	د. نجيب الكيلانى	٦,٠٠
قاتل حمزة	د. نجيب الكيلانى	٨,٠٠
عمر يظهر فى القدس	د. نجيب الكيلانى	٨,٠٠
رجال الله	د. نجيب الكيلانى	٦,٠٠
ملكة العنب	د. نجيب الكيلانى	٦,٠٠
مذكرات د. نجيب الكيلانى جـ١	د. نجيب الكيلانى	١٥,٠٠
مذكرات د. نجيب الكيلانى جـ٢	د. نجيب الكيلانى	١٥,٠٠

ومقرنا : ٣ حارة الجمل - السيدة زينب - تليفون وفاكس ٢٣٩٢٢١٥١

فى هذا العدد

- السلام عليكم ٢
- من روائع عملاق الفكر الإسلامى سيد قطب ... ٣
- عمليات الانتقال الكبرى فى تاريخ الأمم ٧
- أمريكا كما يراها مفكر أمريكى ١٢
- الجهل نورن ٢٠
- اليهود يصلون فى الأقصى ٣٠
- جراحة فى جسد الوهم !! ٣٢
- قراءة فى فكر سياسى أمريكى ٣٤
- رسالة إلى الحكومة ٤٣
- حلم !! ٤٤
- بين وعد بلفور واتفاق أوسلو ٤٧
- رجل فى المنفى ٥٣
- النهب الإمبريالى للعالم الإسلامى ٦٢
- إعادة للحوار الذى تم مع الفريق سعد الدين الشاذلى ٧٦

المختار الإسلامى

مجلة كل المسلمين
تصدر عن
جمعية المختار الإسلامى
المسجلة بوزارة الشئون الاجتماعية
٣ حارة الجمل
متفرع من ميدان السيدة زينب
اسسها حسين عاشور
(١٣٩٩هـ - ١٩٧٩)
تصدر غرة كل شهر عربى
رقم الإيداع ٦٠٧٠ / ١٩٧٩
المشرف العام
حسين عاشور
رئيس التحرير
د. محمد مورو
سكرتير التحرير
حنان حسين عاشور
الإشراف الفنى
على عبيد
الإدارة والتحرير
٣ حارة الجمل
متفرع من ميدان السيدة زينب
تليفون : ٢٣٩٢٢١٥١
فاكس : ٢٣٩٢٢١٥١
الاشتراك السنوى :
داخل مصر ٧٥ جنيها
خارج مصر ٥٠ دولارا أمريكيا
المراسلات والحوالات والشيكات باسم
حنان حسين أحمد عاشور
بريد إليكترونى
alim_ebeid@yahoo.com
mokh_51@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم

فجوات قانونية

تعرض التعديلات الدستورية للجنة الـ ٥٠ للطعن

فجر تقرير صادر عن بوابة الأهرام القيود القانونية التي تجاوزتها لجنة الخمسين المعنية بتعديل الدستور الأمر الذي يعرض التعديلات الدستورية لإمكانية الطعن عليها مستقبلاً وأوضح التقرير أن الولاية الزمنية التي حددها الإعلان الدستوري وهي ٦٠ يوما قد تخلت اللجنة عن هذا القيد متذرعة بأن هذه الأيام لاتشمل الإجازات الرسمية .

وأضاف التقرير أن اللجنة تجاوزت أيضًا مبدأ الثلثين في إقرار مواد التعديلات الدستورية، فقد طبقت الأغلبية العددية لمن حضر الجلسة، وكانت جلسة إلغاء مجلس الشورى كاشفة عن هذا المنحى، بعدما أيد الإلغاء ٢٣ عضواً وهم أقل من الأغلبية المطلقة، مايسمح بسهولة الطعن على عملها أمام مجلس الدولة .

ونقلت الأهرام عن الدكتور شوقي السيد أستاذ القانون الدستوري قوله : "إن لجنة الخمسين بدأت تنحرف عن مسارها ، ومن ثم بدأت تفصل لنفسها قواعد ومعايير جديدة متجاوزة السياق القانوني ـ السياسي الحاكم لعملها، وفي مقدمتها آلية التصويت داخلها" .

من جانبه صرح الفقيه الدستوري كمال دروش قائلاً : "إننا نجني حصاد الاعتماد على المعايير الشخصية في اختيار أعضاء اللجنة ، وبالتالي عملها بما فيه آلية التصويت داخلها بالعك الدستوري، ما صدر عن اللجنة حتى الآن مجرد حشو لمواد تحقق أهدافًا شخصية للفئات التي تشكلت منها اللجنة، أن غالبية المواد الأولية التي طرحت ليس لها أي علاقة بالثوابت الدستورية المتعارف عليها .

واعتبر أن قرار اللجنة بسرية التصويت على مواد الدستور أثار الشكوك حول طبيعة هذه المواد مما سينعكس سلبيا على الاستفتاء القادم" .

موسى

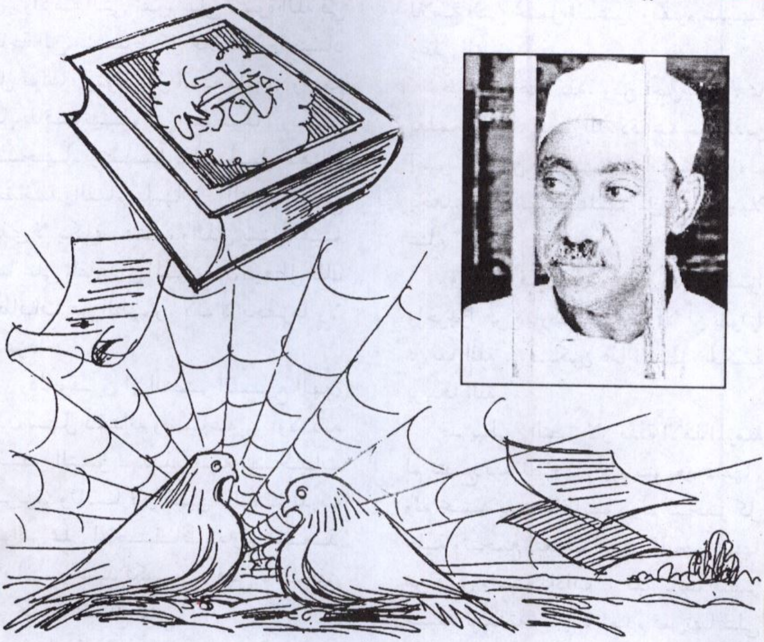

من روائع عملاق الفكر الإسلامي الشهيد سيد قطب رحمه الله

في تفسيره (في ظلال القرآن) المجلد الرابع جـ ١٧ صـ ٢٤٢٥ وما بعدها عند تفسير قوله تعالى في سورة الحج :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (٣٨) أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ (٤١) ﴾ .

يقول رحمه الله :

والأمة التي تقوم على دعوة الله في حاجة إلى استيقاظ كل خلاياها، واحتشاد كل قواها، وتوفر كل استعدادها، وتجمع كل طاقاتها، كي يتم نموها، ويكمل نضجها، وتتهيأ بذلك لحمل الأمانة الضخمة والقيام عليها .. والنصر السريع الذي لا يكلف عناء، والذي يتنزل هينا لينا على القاعدين المستريحين، يعطل تلك الطاقات عن الظهور، لأنه لا يحفزها ولا يدعوها ..

وذلك فوق أن النصر السريع الهين اللين سهل فقدانه وضياعه .. أولا لأنه رخيص الثمن لم تبذل فيه تضحيات عزيزة. وثانيا لأن الذين نالوه لم تدرب قواهم على الاحتفاظ به ولم تشحذ طاقاتهم وتحشد لكسبه .. فهي لا تتحفز ولا تحتشد للدفاع عنه .

وهناك التربية الوجدانية والدربة العملية تلك التي تنشأ من النصر والهزيمة، والكر والفر، والقوة والضعف والتقدم والتقهقر .. ومن المشاعر المصاحبة لها .. من الأمل والألم .. ومن الفرح والغم، ومن الاطمئنان والقلق .. ومن الشعور بالضعف والشعور بالقوة .. ومعها التجمع والفناء في العقيدة والجماعة والتنسيق بين الاتجاهات في ثنايا المعركة وقبلها وبعدها وكشف نقط الضعف ونقط القوة، وتدبير الأمور في جميع الحالات .. وكلها ضرورية للأمة التي تحمل الدعوة وتقوم عليها وعلى الناس .

من أجل هذا كله، ومن أجل غيره مما يعلمه الله .. جعل الله دفاعه عن الذين آمنوا يتم عن طريقهم هم أنفسهم ولم يجعله لقية تهبط عليهم من السماء بلا عناء "١".

والنصر قد يبطىء على الذين ظلموا وأخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا : ربنا الله .. فيكون هذا الإبطاء لحكمة يريدها الله .

قد يبطىء النصر لأن بنية الأمة المؤمنة لم تنضج بعد نضجها، ولم يتم بعد تمامها، ولم تحشد بعد طاقاتها، ولم تتحفز كل خلية وتتجمع لتعرف أقصى المذخور فيها من قوى واستعدادات .. فلو نالت النصر حينئذ لفقدته وشيكا لعدم قدرتها على حمايته طويلا ! وقد يبطىء النصر حتى تبذل الأمة المؤمنة آخر ما في طوقها من قوة، وآخر ما تملكه من رصيد، فلا تستبقي عزيزا ولا غاليا، لا تبذله هينا رخيصا في سبيل الله .

وقد يبطىء النصر حتى تجرب الأمة المؤمنة آخر قواها، فتدرك أن هذه القوى وحدها بدون سند من الله لا تكفل النصر .. إنما يتنزل النصر من عند الله عند ما تبذل آخر ما في طوقها ثم تكل الأمر بعدها إلى الله .

وقد يبطىء النصر لتزيد الأمة المؤمنة صلتها بالله، وهي تعاني وتتألم وتبذل ولا تجد لها سندا إلا الله، ولا متوجها إلا إليه وحده في الضراء .. وهذه الصلة هي الضمانة الأولى لاستقامتها على النهج بعد النصر عندما يتأذن به الله .. فلا تطغى ولا تنحرف عن الحق والعدل والخير الذي نصرها به الله .. وقد يبطىء النصر لأن الأمة المؤمنة لم تتجرد بعد في كفاحها وبذلها وتضحياتها لله ولدعوته فهي تقاتل لمغنم تحققه، أو تقاتل حمية لذاتها، أو تقاتل شجاعة أمام أعدائها .. والله يريد أن يكون الجهاد له وحده وفي سبيله، بريئا من المشاعر الأخرى التي تلابسه. وقد سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الرجل يقاتل حمية والرجل يقاتل شجاعة والرجل يقاتل ليرى .. فأيها في سبيل الله .. فقال: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) كما قد يبطىء النصر لأن في الشر الذي تكافحه الأمة المؤمنة بقية من خير، يريد الله أن يجرد الشر منها ليتمحض خالصا، ويذهب وحده هالكا، لا تتلبس به ذرة من خير تذهب في الغمار! وقد يبطىء النصر لأن الباطل الذي تحاربه الأمة المؤمنة لم ينكشف زيفة للناس تماما .. فلو غلبه المؤمنون حينئذ فقد يجد له أنصارا من المخدوعين فيه، لم يقتنعوا بعد بفساده وضرورة زواله فتظل له جذور في نفوس الأبرياء الذين لم تنكشف لهم الحقيقة .. فيشاء الله أن يبقى الباطل حتى يتكشف عاريا للناس، ويذهب غير مأسوف عليه من ذي بقية! وقد يبطىء النصر لأن البيئة لا تصلح بعد لاستقبال الحق والخير والعدل الذي تمثله الأمة المؤمنة. فلو انتصرت حينئذ للقيت معارضة من البيئة لا يستقر لها معها قرار. فيظل الصراع قائما حتى تتهيأ النفوس من حوله لاستقبال الحق الظافر، ولاستبقائه! من أجل هذا كله، ومن أجل غيره مما يعلمه الله، قد يبطىء النصر، فتتضاعف التضحيات، وتتضاعف الآلام .. مع دفاع الله عن الذين آمنوا وتحقيق النصر لهم في النهاية.

وللنصر تكاليفه وأعباؤه حين يتأذن الله به بعد استيفاء أسبابه وأداء ثمنه، وتهيؤ الجو حوله لاستقباله واستبقائه: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ .. الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ، وَآتَوُا الزَّكَاةَ، وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾ ... فوعد الله المؤكد الوثيق المتحقق الذي لا يتخلف هو أن ينصر من ينصره .. فمن هم هؤلاء الذين ينصرون الله، فيستحقون نصر الله، القوي العزيز الذي لا يهزم من يتولاه؟ إنهم هؤلاء: ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ ﴾ ..

فحققنا لهم النصر، وثبتنا لهم الأمر .. ﴿ أقامُوا الصَّلاةَ ﴾ .. فعبدوا الله ووثقوا صلتهم به، واتجهوا إليه طائعين خاضعين مستسلمين .. ﴿ وَآتَوُا الزكَاةَ ﴾ .. فأدوا حق المال، وانتصروا على شح النفس، وتطهروا من الحرص، وغلبوا وسوسة الشيطان، وسدوا خلة الجماعة، وكفلوا الضعاف فيها والمحاويج، وحققوا لها صفة الجسم الحي - كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) .

﴿ وأمَرُوا بِالْمَعْرُوف ﴾ .. فدعوا إلى الخير والصلاح، ودفعوا إليه الناس ..

﴿ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَر ﴾ .. فقاوموا الشر والفساد، وحققوا بهذا وذاك صفة الأمة المسلمة التي لا تبقى على منكر وهي قادرة على تغييره، ولا تقعد عن معروف وهي قادرة على تحقيقه .

هؤلاء هم الذين ينصرون الله، إذ ينصرون نهجه الذي أراده للناس في الحياة، معتزين بالله وحده دون سواه. وهؤلاء هم الذين يعدهم الله بالنصر على وجه التحقيق واليقين .

فهو النصر القائم على أسبابه ومقتضياته .. المشروط بتكاليفه وأعبائه .. والأمر بعد ذلك لله، يصرفه كيف يشاء، فيبدل الهزيمة نصرا، والنصر هزيمة، عند ما تختل القوائم، أو تهمل التكاليف : ﴿ وَلِلَّه عاقِبَةُ الأُمُور ﴾ .

إنه النصر الذي يؤدي إلى تحقيق المنهج الإلهي في الحياة .. من انتصار الحق والعدل والحرية المتجهة إلى الخير والصلاح .. المنظور فيه إلى هذه الغاية التي يتوارى في ظلها الأشخاص والذوات، والمطامع والشهوات .

وهو نصر له سببه .. وله ثمنه .. وله تكاليفه .. وله شروطه .. فلا يعطى لأحد جزافا أو محاباة ولا يبقى لأحد لا يحقق غايته ومقتضاه ..

انتهى كلامه رحمه الله .

إعداد : ابو رقية احمد سليمان الدبشة

عمليات الانتقال الكبرى في تاريخ الأمم تتطلب زمنا وصبرا

بات كثيرون في الآونة الأخيرة يخشون من استخدام كلمات مثل "ثورة" أو "حركة تغيير" أو "تحول تاريخي" للدلالة على جملة الأحداث والتطورات والمناخات التي يشهدها العالم العربي منذ ديسمبر ٢٠١٠

بقلم د. بشير نافع

والمقصود بهؤلاء الذين يخشون أصحاب النوايا الحسنة؛ لأن أصحاب النوايا السيئة، أو أصحاب المصالح المرتبطة بالنظام العربي القديم، لم يترددوا من البداية في استخدام توصيفات، مثل "الفوضى الشرق أوسطية"، و"المؤامرة"، و"التهديد الإسلامي السياسي للاستقرار"، للتعبير عن موقفهم من عملية الانتقال التي يعيشها العرب.

أما خشية المتعاطفين فربما كان لها ما يبررها .. ففي عدد من الدول العربية، مثل تونس ومصر واليمن، لم تستطع حركة الثورة إطاحة النظام القديم وطبقته الحاكمة، السياسية والمالية الاقتصادية، كلية.

في ليبيا، أطيح بدولة القذافي، ولكن ميراث النظام السابق ثقيل الوطأة أدخل البلاد إلى حالة من الفوضى النسبية والقلق.

أما في سورية، فقد عملت الحسابات الطائفية والإقليمية وسياسات القمع الدموية المتأصلة في بنية النظام على دفع البلاد إلى حالة من الحرب الأهلية.

ما هو أهم من ذلك، أن النظام العربي الرسمي، رغم تنكره لفكرة الوحدة والتضامن، أدرك منذ زمن بعيد عمق

الروابط والتأثير المتبادل بين الشعوب، وعمل من البداية على محاصرة حركة التغيير وإجهاضها.

في مواجهة مثل هذا المصير، يصعب على الكثيرين القبول الآن بأن هناك حركة ثورة وتغيير فعلية يعيشها العرب.

هناك هبَات شعبية، يقول البعض، رغبة محدودة في التغيير لدى قطاعات من الشعب، ربما، ولكن العرب ما زالوا بعيدين عن لحظة ثورية مثل الثورة الفرنسية.

عبرت الثورة الفرنسية، كما نعرف، عن تغييرات اجتماعية عميقة في بنية الاقتصاد والمجتمعات الأوروبية، والأوروبية الغربية منها بصورة خاصة، بعد عقود طويلة من النشاط البحري الأوروبي والإمبريالية التجارية، الحراك الاقتصادي الكبير، التطور الصناعي والميكنة، نمو المدن، وانتشار التعليم. وفي المقابل، عجز النظام السياسي القديم عن الاستجابة للمتغيرات الاقتصادية والاجتماعية، لا على مستوى المشاركة في الحكم ولا على مستوى المواطنة والنظام الحقوقي العدلي.

انفجرت الثورة لأن النظام لم يكن يمثل توقعات عموم الفرنسيين الذين شكلوا المادة التي استندت إليها مقومات فرنسا الإنتاجية والعسكرية، ونفوذ فرنسا المتزايد فيما وراء البحار.

ولم تكن هذه التوقعات مفاجئة، لأن القرن الثامن عشر شهد واحدة من أكبر الحركات الفكرية في غرب أوروبا، وفرنسا بصورة خاصة، سيعرفها العالم بعد ذلك باسم عصر التنوير، طرحت للنقاش العام، وللمرة الأولى في تاريخ أوروبا، معظم القضايا المتعلقة بالنظام السياسي والتعبير عن إرادة الشعوب، وعلاقة الكنيسة بالدولة، ونظام الحقوق والحريات والدستور..

لو كان النظام الفرنسي القديم مرناً بما يكفي، عقلانياً بما يكفي، ومتسامياً على منظومة المصالح والامتيازات، لكان بإمكانه ربما أن يرى أهمية ودلالة ذلك الجدل الفكري، وأطلق حركة إصلاح سياسي تستبق رياح الثورة العاتية.

ولكنه بالطبع لم يكن كذلك، وأصبح عليه بالتالي أن يواجه عاصفة الثورة في ١٧٨٩-١٧٩٢ التي وصلت إلى ذروتها بذهاب الملك إلى المقصلة .. مثلت الملكيات الأوروبية القديمة الصلة المقدسة بين الخالق والخلق، وبقطع رأس الملك قررت فرنسا إرسال مقدسها إلى المقبرة.

بهذا المعنى، كانت الثورة الفرنسية حدثاً تحولياً هائلاً، سيعاد على إثرها بناء العلاقة بين الطبقات، والكنيسة والدولة، ويعاد تعريف الرعية في نظام من المواطنة، ويؤسس لنظام حقوقي وعدلي على مفاهيم

أكثر عقلانية وتجرداً؛ ومن رحمها ستولد فكرة الأمة بمعناها القومي .

ولكن المشكلة أن الكثيرين ينسون أيضاً أن الثورة الفرنسية لم تنجز في سنواتها الثلاث الأولى، وأنها احتاجت لعقود طويلة قبل أن تصنع فرنسا الجديدة واستقرارها، ناهيك عن أثرها في أوروبا والعالم؛ وأن فرنسا ما بعد الثورة عاشت حلقات طويلة ودموية، ومدمرة أحياناً من المد والجزر .

التحولات الكبرى في حياة الأمم والشعوب لا تقع بصورة مستقيمة، وليس لها كتاب إرشادات، ولا خارطة طريق مسبقة، وتحتاج لزمن قد يطول قبل أن تستقر نتائجها في أرض الواقع، وترمي بجذورها بعيداً .

خلال العقد التالي على انتصار الثورة وإطاحة الملكية، وقيام الجمهورية الفرنسية الأولى، ١٧٩٢-١٨٠٤، عاشت فرنسا سنوات من العنف والاضطراب والصراعات الداخلية بين صفوف قادة الثورة والجمهورية، صاحبتها صراعات أخرى في الساحة الأوروبية وما وراء البحار .

وقد انتهت الجمهورية الأولى بقيام نظام إمبراطوري يقوده نابليون بونابرت، ضابط جيش الثورة المغامر والطموح والعبقري .

ولكن طموحات نابليون الإمبراطورية سرعان ما انكسرت على صخرة تحالف الملكيات الأوروبية التي رأت، كما العديد من الدول العربية اليوم، أن ثورة فرنسا في طريقها ليس فقط لبناء نظام إمبراطوري أوروبي، يقوده بونابرت، ولكن حتى إلى ما هو أسوأ، بإطلاق رياح الثورة على الأنظمة القديمة في كل أوروبا .

في ١٨١٥، خاض جيش نابليون في ووترلو معركة فاصلة، أوقع الحلفاء الأوروبيون في نهايتها هزيمة ساحقة بالفرنسيين، مما أدى إلى تنحي نابليون .

وبالرغم من إعلان ابنه إمبراطوراً لفرنسا، خليفة لوالده، إلا أن الابن لم تتح له فرصة التتويج، إذ دخلت قوات الحلفاء باريس وأطاحت بالابن وأعادت أسرة بوربون إلى الحكم .

بعودة الملكية، بدا للحظة أن الردة الفرنسية الأوروبية على الثورة قد نجحت، وأن آمال الثورة قد أطيح بها إلى الأبد .

في ١٨٣٠، ثار الشعب على الملكية من جديد، هذه المرة باسم الملكية الدستورية، الملكية بإرادة الشعب، ضد الملكية الوراثية .. وصعد للعرش ملك من أسرة أورليان، في نظام استمر حتى أطاحت به ثورة ١٨٤٨، التي كانت جزءاً من موجة ثورية عاصفة، طالت عشرات الممالك والإمارات الأوروبية .

في ١٨٥٢، ولدت الجمهورية الفرنسية الثانية، التي ستستمر إلى ١٨٧٠، شاملة ما يعرف كذلك بالإمبراطورية الثانية التي وقف على رأسها نابليون الثالث، وانتهت بالهزيمة الفرنسية على يد التحالف الألماني، وردود الفعل الداخلية التي أدت إلى ولادة كومونة باريس، قصيرة العمر.

ولم تستقر فكرة الجمهورية بالفعل في فرنسا إلا خلال الجمهورية الثالثة، التي استمرت منذ ١٨٧٠ وحتى دخول الجيش الألماني باريس في ١٩٤٠.

ما يشهده العالم العربي اليوم شبيه بالوضع الفرنسي في نهاية القرن الثامن عشر، بالرغم من اختلاف السياقات والقوى والظروف .. ثمة مجال عربي واسع، يشعر فيه مئات الملايين من العرب، أكثر من أي وقت مضى، بأنهم بالفعل أبناء أمة واحدة، تربطهم تواريخ وثقافة وهموم ومصير والتزامات ومسئوليات مشتركة.

جزء من العالم العربي بالغ الثراء، من جهة الموارد، على الأقل، وجزء أقل ثراءً، ولكن العرب لا يشعرون بالحق المشترك في الثروة وحسب، بل ويعانون درجات عالية من إحباط التوقعات.

بعد مرور زهاء القرن على ولادة النظام المشرقي الحديث، إثر الانهيار العثماني والسيطرة الإمبريالية الغربية، لم تحقق دولة الاستقلال العربية ولو الحد الأدنى من طموحات شعوبها في الرفاه والنهضة والاستقلال وحماية البلاد من المخاطر الأجنبية.

والأسوأ من ذلك أن الأنظمة الحاكمة الوليدة التي قادتها أصلاً أقليات اجتماعية أو فئوية، أصبحت بمرور الزمن أكثر أقلوية وانغلاقاً وسيطرة على مقدرات الحكم والثروة.

في المقابل، ساهم انتشار التعليم الجماعي خلال القرن الماضي في تنمية وعي الأفراد وارتفاع مستوى طموحاتهم، من دون أن يكون مستوى هذا التعليم كافياً لإطلاق مناخ من الإبداع والرقي، ومن دون أن تكون خارطة وجهود التنمية كافية لاستيعاب هؤلاء المتعلمين وتوفير حياة كريمة لهم.

وأفسح التطور المتسارع في وسائل الاتصالات مساحة واسعة لتبادل المعلومات، ونافذة أوسع على العالم، بينما يعيش المواطن العربي فيما يشبه السجن الكبير، حيث تغيب الشفافية وتتجاهل الدولة أدنى مسئولياتها تجاه شعبها وحقه في محاسبتها.

وفي مناخ من القمع وضيق مساحة الحريات، تراجع مستوى التعليم. سيطرت الطبقة الحاكمة على مقاليد الحكم والثروة معاً، تحول الفساد إلى تقليد راسخ لمؤسسة

الحكم والطبقة الحاكمة، وتدهورت معدلات التنمية بصورة فادحة، ليس فقط مقارنة بدول بدأت مسيرة التنمية في أوقات متأخرة نسبياً، مثل كوريا وماليزيا والهند والبرازيل، بل ومقارنة بعدد متزايد من دول إفريقيا وأميركا اللاتينية.

وفوق ذلك كله، تنحسر حدود الاستقلال الوطني بصورة مطردة، وتنهار مقاومة الدولة العربية، الواحدة منها تلو الأخرى، أمام الدولة العبرية.

انطلاق حركة الثورة العربية في ٢٠١٠ - ٢٠١١، كان بهذا المعنى انعكاساً لعجز النظام العربي القديم عن الاستمرار، وتعبيراً عن شعور المواطن العربي المتزايد بأن الأوضاع لا يمكن أن تستمر على ما هي عليه.

وصل النظام العربي القديم، بكلمة أخرى، إلى حالة انسداد تاريخي محكمة، لم يعد من الممكن المناورة معها، كما سبق لهذا النظام المناورة في لحظات تجلي فشله الفادح في نهاية الأربعينيات ومطلع الخمسينيات، وفي نهاية الستينيات، وفي مطلع هذا القرن.

ليس ثمة حزب أو منظمة إيديولوجية بمفردها وقفت خلف اندلاع الثورة، ولكن مجموعة من القيم والمفاهيم، لا تشكل الهدف المشترك الإيديولوجيات جميعاً، وحسب، بل وأصبحت في العقد أو العقدين الماضيين جزءاً لا يتجزأ من الثقافة العامة.

وربما يمكن القول إن جوهر عملية التغيير يتعلق بمسألة المسائل جميعاً: وضع نهاية لقرن كامل من حكم الأقليات السياسية أو الاجتماعية أو الطائفية، واستعادة الشعب لقراره.

ولكن، وكما في التجربة الفرنسية خلال القرنين الثامن والتاسع عشر، لم يكن لعملية التغيير الكبرى أن تتحقق، وأن تصل منعطف اللاعودة، بصورة سهلة وسريعة، وفي طريق واضح المعالم:

أولاً، لأن الشعوب العربية منقسمة على ذاتها منذ عقود طويلة؛ وثانياً، لأن دولة النظام القديم ليست وليدة الأمس، وأنها تمتلك من مقدرات القوة والقدرة ما يكفي للرد على حركة الثورة والتغيير؛ وثالثاً، لأن الأنظمة العربية رأت بسرعة وسهولة الخطر والتهديد الذي تمثله عملية التغيير في دول الثورة على دول النظام العربي القديم الأخرى، واشتغلت، كما اشتغل تحالف الرجعيات الأوروبية في ووترلو، بالعمل ضد حركة الثورة والتغيير والقوى التي تستند إليها هذه الحركة.

هذه معركة تغيير قد تطول، ولكن ما يجب ألا يشك فيه أنها معركة تغيير لا تتفق والشروط التاريخية وحسب، بل وتفرضها اللحظة التاريخية.

***

خواطر مسلم

أمريكا كما يراها مفكر أمريكي

المفكر الأمريكي نعوم تشومسكي، هو واحد من كبار المفكرين الأمريكيين على الإطلاق، وهو عالم لغويات مرموق وأستاذ جامعي متميز تدرس أبحاثه في العديد من الجامعات داخل أمريكا وخارجها، وبرغم أنه أمريكي الجنسية، إلا أن له موقفًا نقديًا ومعارضًا للممارسات والسياسات الأمريكية على مستوى العالم.

وهو أيضًا وهذا أمر مثير للاهتمام يهودي الديانة، ولكنه أيضًا من أعلى الأصوات داخل أمريكا وخارجها انتقادا للسياسة الإسرائيلية.

ولا يعنينا بالطبع هنا مناقشة موقف الرجل من إسرائيل وإن كان موقفًا يستحق الاهتمام في مكان آخر، ولكن يعنينا هنا أنه شهادة على أمريكا من أهلها.

والكتاب الذي نحن بصدده هو كتاب "ماذا يريد العم سام" ؟..

والكتاب يضم أربعة أبواب وهي :

الأهداف الخارجية للسياسة الأمريكية، التدمير في الخارج، غسيل المخ، المستقبل.

ويرصد نعوم تشومسكي عدداً من الوثائق عن الساسة الأمريكيين، ومخططي سياسة الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية.

فرئيس مخططي وزارة الخارجية الأمريكية حتى عام ١٩٥٠ "جورج كينان" كتب في مذكرة رقم ٢٣ سنة ١٩٤٨ الخاصة بالتصور الأمريكي لتشكيل عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية يقول : "عندنا ٥٠٪ من ثروات العالم، وفقط ٦.٣٪ من سكانه وبمثل هذا الوضع فإن مهمتنا الحقيقية في الفترة القادمة هي ترتيب نموذج للعلاقات يحافظ على استمرار ذلك التفاوت ولتحقيق ذلك سيكون علينا التخلي عن العواطف والأهداف المبهمة مثل حقوق الإنسان ورفع مستوى المعيشة والتحول للديموقراطية،

بقلم : د. محمد مورو

ولن يكون اليوم الذي نضطر فيه للتعامل بمنطق القوة بعيداً".

وعلى المنوال نفسه نبه كينان إلى الوسائل التي يتعين استخدامها فقال :

"علينا ألا نتردد إزاء استخدام الحكومة المحلية لشرطتها لسلاح القمع، فليس في ذلك ما يسبب الخجل".

ويعلق تشومسكي على ذلك قائلاً :

"بناء على ذلك المضمون العملي مع مسائل أخرى غزا الرئيس ويلسون هاييتي وجمهورية الدومينكان فقتل محاربوه وخرجوا ودمروا النظام السياسي وأحكموا قبضة المؤسسات الأمريكية على البلدين وهيئوا المسرح السياسي في كل منهما لدكتاتورية وحشية فاسدة".

ونستمر مع جورج كينان ليرسم لنا رؤية أمريكا الاقتصادية للعالم حيث يقول : "على الدول الصناعية مثل ألمانيا واليابان أن تصبح الورش العظيمة لعمل تحت إشرافنا، أما دول العالم الثالث فعليها أن تكون مصدر إمداد لنا بالخامات وتمثل أيضاً أسواقاً لبيع المنتجات المصنعة وأن تستغل أيضاً لإعادة بناء أوروبا واليابان".

ويرصد تشومسكي العديد من الممارسات الأمريكية المعادية للديمقراطية، فالولايات المتحدة تكفلت بنفسها بالقضاء على القوى المعادية للفاشية، بل واستخدمت الفاشين والنازين في تمرير سياستها، فعين الرئيس روزفلت مثلاً عام ١٩٤٢ الأدميرال الفرنسي "جان دارلان" حاكماً عاماً على شمال أفريقيا الفرنسي، وهذا الجنرال هو من المتعاونين مع النازي، وفي إيطاليا تم فرض حكومات استبدادية مباشرة، أو تم التلاعب في الانتخابات، وفي اليونان دعمت الولايات المتحدة حرباً راح ضحيتها ١٦٠ ألف قتيل لفرض نظام حكم فاسد، وكذلك اتبع ريجان النموذج نفسه في أمريكا الوسطي وأماكن أخرى، ويمكن أن نرصد الممارسات الأمريكية الداعمة للفاشية والدكتاتورية في كل من كوريا وفنزويلا وكولومبيا وجواتيمالا وبفضل دعم الولايات المتحدة الأمريكية للمتعاونين مع النازي سابقاً،

فإن هؤلاء أصبحوا مستشارين عسكريين لحكومات الدول البوليسية التي أقامتها الولايات المتحدة الأمريكية في أمريكا اللاتينية على غرار الرايخ الثالث، بل وأصبحوا جزءاً من تجارة المخدرات والسلاح بإشراف أمريكي مباشر في تلك المناطق.

ويقول نعوم تشومسكي: "إن الولايات المتحدة الأمريكية اعتبرت أن التهديد الرئيسي لنظام العالم الجديد تحت قيادة أمريكا يأتي من الوطنيين في العالم الثالث ومن الأنظمة الوطنية التي تريد تحسين مستويات المعيشة وتلبية رغبات شعوبها، وأكد المخططون للسياسة الأمريكية على ضرورة منع وصول الوطنيين إلى السلطة وإذا ما وصلوا يتم عزلهم وتنصيب حكومات عميلة تفضل الاستثمار الأجنبي، بل ويجب التحالف مع العسكريين الموالين لأمريكا لسحق أي نزعات وطنية، وفي دراسة صادرة عن معهد لندن للشئون الدولية عن نظام العلاقات الأمريكية الدولية "فإن الولايات المتحدة تلتزم حقيقة بمصالحها، وعندما تتعرض مصالح المستثمرين الأمريكيين للتهديد فعلى الديموقراطية أن ترحل ولا بأس أن يحل محلها حكم التعذيب والقتل".

وهكذا دعمت الولايات المتحدة الأمريكية الديكتاتورية وأسقطت حكومات برلمانية في إيران ١٩٥٣، وفي جواتيمالا ١٩٥٤، وكذلك في ١٩٦٣، وفي الدومينيكان عامي ١٩٦٣، ١٩٦٥ وفي البرازيل ١٩٦٤، وشيلي ١٩٧٣ وفي كل المناطق تقريبًا من العالم.

ويقول تشومسكي: "لم يكن عمل القوات الأمريكية في هذه البلدان وغيرها هو القتل العادي، لكن كان بصفة أساسية هو القسوة والتعذيب، قطع رءوس الناس وتعليقها على خوازيق، رطم الأطفال بالحوائط، قطع أثداء النساء وتعليقهن من أقدامهن، وليس هناك استثناء من هذه القاعدة، فلا يهم إن كانت الدولة المستهدفة مهمة أو غنية أو قومية، بل يحدث ذلك في كل مكان .. وكمثال في دولة صغيرة فقيرة مثل لاوس في الستينيات، كانت أفقر دولة، وما أن شرعت في تحقيق بعض الإصلاح حتى قصفتهم واشنطن بسيل متدفق من القنابل، وكذلك في جرينادا البلد الصغير الذي يقطنه أقل من المليون بكثير ما إن شرعت في الإصلاح الاجتماعي حتى سارعت واشنطن بضربها وتأديب أهلها.

ويصدق هذا أيضًا على السلفادور ونيكاراجوا، وفيتنام وكمبوديا، ولاوس، وباناما وليبيا، والسودان وشيلي.

وعن حقوق الإنسان ينقل نعوم تشومسكي عن دراسة قام بها لارس

شولتز الأكاديمي البارز والمتخصص في حقوق الإنسان "إن المساعدات الأمريكية تميل للزيادة مع الحكومات التي تمارس التعذيب مع مواطنيها"، وكشفت دراسة أوسع للاقتصادي "ادوارد هرمان" عن تلازم وثيق بين التعذيب والمساعدات الأمريكية.

أما عن رفع مستوى المعيشة التي تزعم أمريكا اهتمامها به، فإن العكس هو الصحيح دائمًا، فأمريكا تشجع نمط التنمية الذي يحترم مصالح المستثمرين الأمريكيين، وإن الدول التي تحاول التنمية المستقلة تجابه بالعداء والعنف الأمريكي.

ولا يقتصر التدخل الأمريكي هنا على القوات العسكرية فقط، والتي حدث منها ما يكفي لاتهام كل الرؤساء الأمريكيين منذ نهاية الحرب العالمية الثانية بأنهم مجرمو حرب بل هناك وسائل أكثر تعقيداً مثل صندوق النقد الدولي والبنك الدولي، فالبنك الدولي مثلاً قدم القروض مقابل سياسة تحرير الاقتصاد أي تهيئة الاقتصاد الوطني لاختراق المال الأجنبي وتحكمه فيه مع تخفيضات حادة في خدمة المجتمع، ويكرس هذا تقسيم المجتمع إلى أقلية ثرية وأكثرية تعاني الحرمان والفقر المدقع.

أمريكا كما يراها الدكتور عبد الوهاب المسيري

الراحل الدكتور عبد الوهاب المسيري مفكر عربي مصري مرموق، وقد عاش لفترة في الولايات المتحدة الأمريكية (عاش فيها من عام ١٩٦٣ إلى عام ١٩٦٩ ثم من عام ١٩٧١ وهو يتردد عليها ويتابع أفكارها باستمرار).. واستطاع أن يدرس حقيقتها من الداخل، وكذا فإنه من أهم المفكرين العرب الذين درسوا الحضارة الغربية دراسة علمية نقدية، وبالتالي فإن آراء الدكتور المسيري في أمريكا آراء لها وجاهتها وأهميتها، وسواء اتفقت أو اختلفت معه في هذا الرأي أو ذاك إلا أنه يعد مفتاحاً هاماً لفهم أمريكا، وبالتالي وضع التصور الصحيح لمواجهتها، وللدكتور عبد الوهاب المسيري كتاب هام في هذا الصدد هو "الفردوس الأرضي .. دراسات وانطباعات عن الحضارة الأمريكية الحديثة" صادر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ١٩٧٩.

واستطاع الدكتور المسيري أن يحدد لنا رؤية الأمريكيين أنفسهم لأمريكا، ومبرراتهم لوجودها، وكذا فلسفتهم في إبادة شعبها الأصلي الهنود الحمر، وتطابق الرؤية الأمريكية مع الرؤية الإسرائيلية في الكثير من القضايا التاريخية والفلسفية، فالشاعر الأمريكي والت وايتمان وهو

خواطر مسلم

شاعر الديموقراطية الأمريكية في القرن التاسع عشر كان يرى أن كل تاريخ العالم لم يكن سوى هراء ووهم وأنه كان مجرد تمهيد لظهور أمريكا .

والأمريكان مثل الإسرائيليين استخدموا العلامات الدينية لتبرير كل أعمالهم العدوانية من إبادة للهنود الحمر واحتلال لأراضي الغير، والمفكر الأمريكي "أوسوليفان" كان يسمى إبادة الهنود الحمر والتوسع الأمريكي أنه "رؤية عذبة" و"قدر جلي" ، وهو قدر لأنه مكتوب على الأمريكيين ذوي الرسالة الخالدة، وهو جلي لأنه واضح للعيان ولا جدال فيه، وحتى الآن لا نعدم أن تجد من يستخدم هذه النغمة الدينية التبريرية مثل الكاردينال سبيلمان الذي كان يسمى الجنود الأمريكان في فيتنام "جنود المسيح" ومثل الجنرال الأمريكي الذي دمر قرية فيتنامية "كي ينقذها" وهو هنا مثل الجنرال الإسرائيلي لديه إحساس بأنه صاحب رسالة خاصة وأنه قد اختير لتنفيذها، ولذلك فهو يقوم بالتخريب والتدمير والفتح والغزو في منتهى البراءة ودون أن يهتز له جفن .

ويرى الدكتور عبد الوهاب المسيري أن كلاً من الأمريكي والإسرائيلي يعتقد أن قمة الفعل هو دائماً ذبح الخصم، وأن نقطة التشابه الأساسية بين الوجدانين الأمريكي والصهيوني هو العنف العنصري، وأن العالم الجديد لا يمكن تشييده إلا عن طريق العنف والإبادة : "إبادة الهنود الحمر والفلسطينيين" ويجب أن نضع في اعتبارنا انه من اليسير على الشعب الأمريكي فهم العقلية الإسرائيلي والتعاطف مع الشعب الإسرائيلي وقيمه اللاأخلاقية من عنصرية وعنف نظراً لتشابه بين وجدان الشعبين .

والمجتمع الأمريكي كما يرى الدكتور عبد الوهاب المسيري مجتمع ذرائعي براجماتي (عملي نفعي) لا يشغل نفسه إلا بما يزيد من راحته وهنائه الماديين، فليس هناك أعلى ولا أسفل ولا يمين ولا يسار والروح تساوي الجسد والجميل لا يختلف عن القبيح، والجاهل لا يختلف في عمله وحكمته عن العالم فالمعيار الوحيد هو النجاح، ولا فرق بين الحياة والموت أو حتى بين الإنسان والحيوان .

والإنسان الأمريكي يسقط الخلفية التاريخية تماماً وإذا أبقاها فهي تظل على مستوى الحد الأدنى أو القشرة أو من قبيل الديكور (الزينة) ليس إلا ، وفي داخل هذا الإطار الفلسفي لابد وان ينشأ نمط إنساني يجسد هذه الصفات التي هي من وجهة نظر هذا الإنسان لا هي بالرذائل ولا بالفضائل لأنها قانون طبيعي يعلو على الخير والشر إن أردنا استخدام المصطلح النيتشوي، وهذه الشخصية هي الرائد

الأمـريكي أو "الكاوبوى" المؤمن بقـدراته الخارقة للعادة على إخضاع أي شيء وعلى غـزو البـرية، والرجل الأمـريكي "الأبيض" هو (البراجماتي) بالدرجة الأولى (والسوبر مان) (الإنسان الخارق) الحق (والكاوبوي) الذي لا يهاب شيئًا، ويخاطر بكل شيء فيربح كل شيء أو يفقد كل شيء، ولكننا لو تعمقنا قليلاً في هذه البنيـة الداروينية النيتشوية لنصل إلى أساسها الاقتصادي لوصلنا إلى شخصيـة التاجر، فـالرائد هو التـاجـر الأعظم الذي يتـاجـر بكل شيء ويخاطر بكل شيء حتى حياته وجسده، بل انه يكاد يقـتـرب من العـاهرة في هذا، فـالعـاهرة هي الإنسـان السلعة التي تصل إلى منتهى التموضع والانحراف الكامل عن الذات الإنسـانيـة حيث يدخل الإنسـان في عـلاقـة مـوضـوعيـة كـاملة مع الآخرين ليس فـيـهـا خـيـر ولا شر ويكون هو نفسـه الذات الخلاقـة، الموضـوع الذي يسـتـهلك، وتكون الذات الأخـرى مـوضـوعًـا آخـر باعـتـبـار انه مـصدر للمـال وحسب الرائد يترك تاريخه وتراثه وقيمه وأسرته ويحمل مـسـدسـه وجـسـده ليـدخل في صـراع مع الآخرين يكون هو الصائد أو الفريسـة، وفي هذا الإطار يمكننـا أن نـفـــهـم الجـــوهر الرأسمالي الكامن وراء عبارات براجماتية نشطة مثل "المخاطرة" "الممارسة الحرة" و"الحرية الكاملة" وغيرها من المصطلحات ذات الطابع الأمـريكي، والسوق هو الذي يحدد كل القيم حسب دوراته اللامتناهية وحسبما تمليه قوانين العرض والطلب الذي لا يمكن لإنسان التحكم فيها، والرأسمالية تظل منفصلة عن فكرة القيـمـة ومرتبطة بفكرة الثـمن والعرض والطلب وهذا يفسر إيمان الأمريكي المجنون بفكرة الربح دائمًا، وبأي وسـيلة ونحـو أي اتجاه وبغض النظر عن مـقـدار البـؤس الذي يحيق بالبشـر، وبهذا المنطق تعامل الأمريكي مع صاحب البـلاد الأصلي "الهنود الحـمـر"، فـالهندي الأحمر من وجهـة نظره كائن لا تحده حدود تاريخيـة أو إنسانيـة، وأنه يمكن اصطيـاده كالفريسة دون أي هلع أو وجل أخلاقيين.

والبراجماتيـة الأمريكيـة أكثر اتسـاعًا من حدود البـراجـمـاتيـة الصـهـيـونيـة مثلاً فالأولى يحكمها قـانون واقعي، وهو قـانون ضـيق وغبي، ولكنه في النهـاية قـانون.. أما البراجماتية الصهيونية فهي مزيج فريد شـاذ بين العـقـليـتين العـمليـة والغـيـبـيـة التلمودية.

والأمريكي يستـهلك دون تسـاؤل، وهو لا يسـتـفـسـر أبدًا عـمـا إذا كـان هذا الاسـتـهـلاك الغـبي سـيـؤدي إلى سـعـادته الفردية أم لا؛ فـالسعادة الإنسـانية ليست هي الـهـدف، وهذا الإطار قـد جـعـل من الأمـريكي فـريسـة سـهـلة لسـعـار الحضـارة الاسـتـهـلاكـيـة، وحـتى تضمن الاحتكارات الأمريكية أن يظل المواطن الأمريكي غارقا في السلع والمادة وفي حالة غيبوبة إنسانية كـامـلة فـإنـهـا تطلق عليـه سـيـلا من الإعلانات الرائعة !!، وعالم السلع لا يغزو

الإنسان الأمريكي من الخارج فحسب بل يغزوه ويقمع إنسانيته من الداخل، وفي أمريكا فإن الدين الوحيد هو التحليل النفسي، فمن وجهة نظر سيكولوجية ليبرالية نفسية متحررة غير تقليدية لا يمكنك أن تصدر أحكامًا أخلاقية أو فلسفية من أي نوع على أي فرد، فغاية المجتمع هو إراحة أعضائه نفسيًا عن طريق تدريبهم على فن التأقلم مع الواقع كما هو وتحقيق الثقة والطمأنينة الكاملتين في النفس" وهي نفس ليس لها وجود حقيقي لأنها متأقلمة مع الواقع مندمجة فيه منسجمة معه ومنه، والدين يصبح اتجاراً والاتجار دينًا، وهذا الضرب من التدين التجاري الذي يرى أن الإيمان تجارة مربحة يقبض ريعها ويحول التجربة الروحية إلى شيء كمي يمكن أن يقاس ويحسب بالمليم، والمسيح بالنسبة للأمريكي هو الساحر الطبيب القادر على القيام بالحيل وعلى الإتيان بالشفاء العاجل، أما المغزي الروحي الإنساني الهام لحياته وآلامه فهذا ما لا يمكنهم إدراكه، والأمريكي يريد من المسيح الخلاص العذري المريح، لأنه أي الأمريكي على عجلة من أمره، والمسيح بالنسبة للأمريكي أيضًا نجم أعظم وتكئة لتحقيق الأهداف العملية المباشرة، وحتى الحواريين يرون المسيح على أنه طريق إلى الشهرة والخلود.

وبما أن المجتمع الأمريكي براجماتي ولا أخلاقي وباحث عن الربح والمنفعة بأي ثمن فإن المرأة الأمريكية مثل المهاجرين الجدد والزنوج وغيرهم تدفع الثمن، فالنظام الرأسمالي يحتاج إلى عمالة فائضة دائمًا (نوع من البروليتاريا (الطبقة العمالية) السائلة غير مرتبطة بوظيفة محددة وعلى استعداد للعمل في أي مكان وفي أي وقت دون أن تصبح جزءًا عضويًا من عملية الإنتاج نفسها، أي أنها تظل دائمًا خارج الإنتاج وداخله في نفس الوقت)، ووجود مثل هذه العمالة السائلة هام وضروري من وجهة نظر الرأسمالية لسببين :

أولاً للضغط على العمال، وثانيًا لتمكين الرأسماليين من نقل رأسمالهم من استثمار ووجود فائض دائم من العمال يمكن الرأسمالي من استئجار أي عدد من العمال في أي وقت، فلو تحققت العمالة الكاملة لأصبحت حركة النظام بطيئة للغاية ويقوم المهاجرون الجدد والزنوج بسد حاجة الرأسمالية الأمريكية في هذا المجال ولكنهم من وجهة نظر الرأسمالية يعدون متخلفين نوعًا ما لأن خلفيتهم الحضارية تعوقهم عن التأقلم السريع مع النظام وعن الإسهام الكفء في عملية الإنتاج، كما أنهم لا يمكنهم القيام ببعض الأعمال الفنية.

ومن هنا تكون أكثر من فريق للعمالة الفائضة في الولايات واحد لمختلف الأعمال اليدوية وقوامه المهاجرين والزنوج والآخر للأعمال المتقدمة نوعًا مثل السكرتارية والخدمات الاجتماعية وبعض الأعمال الإدارية وبعض الأعمال الصناعية الخفيفة وقوامه من السيدات، وهذه العمالة الفائضة تكتسب أهمية خاصة أثناء الحروب المحدودة التي تخوضها أمريكا حيث تحل السيدات محل المحاربين .

وبهذا المعنى تكون سيدات أمريكا أقلية مستقلة مضطهدة اقتصاديًا .

وإذا أخذنا سلم الاضطهاد كمعيار نجد

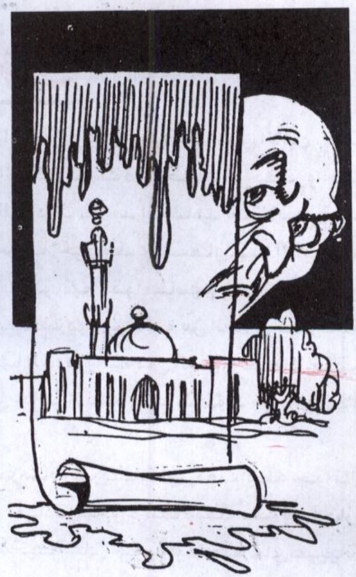

أن المرأة الزنجية هي أكبر ضحية للاضطهاد الرأسمالي الأمريكي، فالاضطهاد هنا ليس جنسيًا فقط، ولكن جنسي عنصري طبقي، فالأمريكان البيض الرجال هم الطبقة الأعلى طبعًا .

وهناك قصيدة كتبتها امرأة أمريكية تعبر عن هذه الحالة تقول القصيدة :

الفتاة الجميلة كالسلعة
تباع وتشترى مع أسهم الشركات
الفتاة الجميلة في هذا المجتمع
يحكم عليها حسب المظهر
وحسب ما ترى على وجهها
يكون في الغالب بقايا المواد الكيميائية
التي يستخدمونها في الحروب .

وهذا البيت الأخير يدل على أن ثمة تكامل في بنية المجتمع الأمريكي المسئول عن إنتاج النابالم ومساحيق التجميل، ففي كلتا الحالتين نجد أن الهدف من عملية الإنتاج هو الإنتاج ذاته بحيث يدخل المجتمع دائرة الإنتاج الآخذة في الاتساع اللانهائي ولضمان هذا تدخل الرأسمالية في حروب تستهلك فيها آلاف الدبابات والطائرات والغازات السامة، أو تغرى الآخرين بدخولها وبالتالي استيراد هذه السلع، وتدخل الرأسمالية أيضًا حروبًا داخلية مع الناس وبالذات المرأة لتستهلك فيها السيارات والمساحيق والثلاجات والاستقرار النفسي .

د. محمد مورو

Saturday
JANUARY
18

شهريـــــات

رسالة أميركا

الجهل نورن

ما من أحد لم يسمع عن قعدات المصاطب أيام زمان أو يرى زاوية منها علي الأقل .. هذا إذا لم يكن ممن بلغوا من العمر أرذله وحالفه الحظ وشارك في إحداها أو حضر واحدة منها علي سبيل حب الاستطلاع .. ومن فاته ذلك وذاك فلا بد أنه شاهد حملات سخرية عليها في فيلم أو مسلسل كوميدي يسخر من فلاحين مصر وصعايدتها الذين دون سواعدهم وحرفيتهم ما كان هناك مصر أصلا .. ولو أنهم ألقوا بفأسهم ومعولهم وهجروا طنبورهم ومحراثهم إلي مدن المتحضرين لمات المصريون برمتهم من الغلال المسرطنة، والخضراوات والفواكه العطنة التي يرتع فيها الدود، والدجاج النتن، ولحم المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع، إلي جانب السماد المشع المستورد من بلاد أولاد العم.

زينة تلك المجالس في كل قرية من بر مصر شاب عريف يطوي تحت إبطه جورنال يومي اشتراه من البندر قبل أسبوع من حضوره لعيادة أهله والالتقاء بصحبته في إجازة قصيرة. وعند اكتمال الحشد يفرد العريف الصحيفة علي حجره ليطلعهم علي غيبيات ما يدور في الدنيا من عجائب وأحداث تشبه الأساطير.

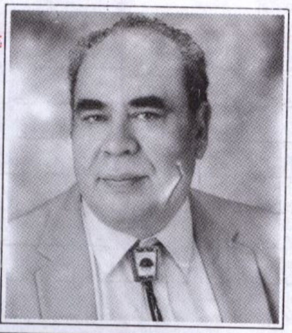

د.عبد الفتاح الحسيني

والعريف في العادة صبي غض البنية، قرة عين أبيه وضنا أمه، يفك الخط بشق النفس، ممن بلغ سن الجهادية فامتدت إليه العسكرية بيدها الطولي لتختطفه من بين أهله وعشيرته وصحبه ولتحرم أباه مساعدته في الحقل، ولم يكن لدي أهله عشرون جنيها بدل جهادية يفتدي بها نفسه من التجنيد؛ إلي جانب أنه صحيح الجسد قوي البنية وقعر قدمه ليس مسطحا وبهذا فليس لديه من عذر فهو قادر علي المثابرة في السير مسافات طويلة في البيادة العسكرية دون وهن، والاستجابة لنداءات محلك سر دون تلكؤ .

وعادة ما يستهل العريف الجلسة، بعد الصلاة علي النبي المصطفي بقراءة العناوين العريضة بشغف ولهفة، ولكنه يتأني في قراءته حتي يستوعب الحضور ما يقول وحتي يتمكن من التقاط أنفاسه وارتشاف عبوءة فم من الشاي المختلط بقدر هائل من السكر إكراما له. وبعد الإنتهاء من طقوس المقدمات والترحيبات يقبض علي زمام شجاعته قبل أن يخوض في لجة عميقة ويغوص في التفاصيل الدقيقة المكتوبة بأحرف صغيرة قد تعجز العين عن التمييز بينها .. يقرأ كل سطر بتلعثم لكنه حريص علي أن لا تفوته كلمة؛ بداية من الأخبار إلي التحليلات والمقالات وبريد القراء دون التغافل عن الإعلانات حتي ينتهي به المطاف إلي صفحة الوفيات .. عند هذه المرحلة تخيم علي الجلسة سحابة من الكآبة تتخللها مصمصة شفاة، وتمتمات وهمهمات، كأنما أدرك الحضور أن للحياة نهاية كما أن للجورنال نهاية .

وبالطبع فإن من المستحيل تغطية ما يرد في الجريدة اليومية في جلسة واحدة، خاصة وأن علي العريف توضيح ما يقرأ والتعليق عليه وفتح فرص للمناقشة والاستفسار والتعليقات حتي لا يفوت علي أي من المشاركين في جلسة المؤانسة كلمة أو تلميحة مما ورد بالحروف المطبوعة .. ثم إن العريف لم يشتر سوي عدد واحد ؛ طامعا في أن هذا يكفي لتغطية المجالس التي سيسطع فيها نجمه قبل العودة لطوابير البيادة وتلبية نداءات إنتباه وتعظيم سلام وللخلف در .

ورغم أن الحضور تركوا للعريف قراءة الكلمات فإنهم احتفظوا لأنفسهم بحق الحملقة والبحلقة في الصور وخاصة الصور الغريبة التي تتضمنها الإعلانات عن مساحيق التجميل ودهان الرأس وتكثيف شعر الشارب والكباريهات وما في دور العرض من أفلام. أما أخبار المجتمع الراقي فلم يستوعبوا

بالضبط هوية ذلك المجتمع ولا حيثياته، خاصة أنه لا يتطرق من قريب أو بعيد لأخبار العمدة وشيخ الغفر أو حتي الباشا مأمور المركز .. وبهذا اكتفوا بتعريفه علي أنه مجتمع الأكابر الذين يتمتعون بالأكل والمرعي وقلة الصنعة .

ولقد تعرض العريف وجورناله لموضوعات تهم السميعة المحيطين به لأنها قد تمس حياتهم اليومية بصورة مباشرة. فلقد ذكر الجورنال نبأ اكتشاف شبكة جاسوسية وعزز النبأ بعرض لصور بعض أعضاء الشبكة .. وبعد التملي في صور الجواسيس أذاع أحدهم أن جاسوسا منهم يشبه معاون البوسطة الجديد الذي هبط علي البلد فجأة دون أن يعرف له أصل من فصل ليحل محل ابن القرية الذي ألفه الناس عدة سنوات .. وأكد الحضور هذه الشبهات بأن المعاون غريب التصرفات وشكله ينبي عن أنه يخبئ سرا في جعبته يخشي أن ينكشف، وإن كانت مراوغاته لم تكن لتنطلي علي أحد .. لكن السر الغائب عنهم هو يا ترى لحساب من يتجسس المعاون؟ هل للحكومة أم للجندية الذين يريدون خطف شبابهم للعمل كمراسلة في خدمة الضباط الكبار وحريمهم .. حيث أن الجهادية في نظرهم كلمة مرادفة لجهاد النفس في الصبر علي السخرة في المعسكر، وتحمل الإهانات من أصحاب الرتب العسكرية، ومسح بيادة صف الضباط، والهرولة لتلبية كل صيحة أو نداء، والانصياع لكل أمر حتي لو كان بالقفز في لجة من نار .. والمحظوظ منهم هو الذي يقع عليه الاختيار للعمل في سلاح خدمات بيوت الضباط، حيث يقوم بعمليات ميدانية حرجة لصد عدوان التراب والزبالة بالتسييئ والكنس وشد السيفون، وبما يسمي بعمليات الإمداد من شراء لوازم البيت، وبالعمليات اللوجستية التي تشمل توصيل العيال للمدرسة، ونقل السيدة الهانم لزيارة أصحابها مع الالتزام بسرية تحركاتها .

لم يصدر من الحضور حكما قطعيا بأن معاون البوسطة متورط في أعمال جاسوسية، حيث شغلهم خبر أكثر تشويقا وهو السباق المحموم علي اقتناء الذرة والخوف من اندلاع حرب ذرية. فقد استوقف الخبر العديد من الحضور، وتعجب أحدهم عما إذا كانت المعركة الدائرة بين العائلات في القرية المجاورة حول حقول الذرة والتي راح ضحيتها شباب في عمر الورد لم تضع أوزارها بعد .. وما من أحد يستطيع التكهن بتصالح بين تلك العائلات المتناحرة فالنفوس ما زالت متحاملة مما جري .. ولكن هل من المعقول أن تتطور المسألة حتي تتدخل أمريكا وإنجلترا وفرنسا .. وعقب آخر أن هذه هي علامات آخر الزمن وأن الأجانب لا تفوتهم جنازة إلا شبعوا فيها لطما .. وأحس آخر بالعار والشنار من أن العراك علي قيراط أو سهم أرض مزروعة ذرة يؤدي إلي فضيحة عالمية فيشمت الخواجات في أهل بر مصر .. واستدعي الموقف هنا الدعاء بأن يجمع الله الشمل ويصفي النفوس وأن لا يشمت الأعداء .

***

الكلمة المكتوبة

أذكر عندما كنت طالبا في السنة الإعدادية بالجامعة أرسلت خطابا للمحرر نشرته جريدة الأهرام، لا أذكر محتواه، ولكنني فوجئت بأن السطور المقتضبة التي كتبتها من باب التسلية وتضييع الوقت أثارت ضجة لي في القرية التي ولدت فيها، وتداول الأقارب والمعارف ما كتبت وكأني أمسكت الذئب من ذيله، وأشيع أنني رغم صغر سني فقد اختارني الأهرام من دون الناس لأكتب فيه بانتظام وأنني قررت أن احترف الصحافة إلي جانب الهندسة، وفي أول زيارة لي إلي القرية التي تفتخر بأن نسبة التعليم فيها تزيد عن المائة في المائة، استقبلني العديد بالأحضان والتهليل علي ما أنجزته. مع العلم أن هذه القرية بزغ منها رسام كاريكاتير مشهور، ومخرج سينمائي ونجم ساطع من نجوم السينما المصرية القدامي، غير الفقهاء والعلماء.

في ذلك الوقت لم يكن هناك إضاءة اصطناعية في القري؛ باستثناء الشيخ علي ولمبة الجاز والكلوب، ولم يشغل الفلاح عن عمله في أرضه أربعة أجهزة تلفزيون في بيته يساهرها حتى مطلع الفجر. ولم يكن عدد الصحف اليومية يتعدي عدد أصابع اليد الواحدة. عندئذ كانت الكلمة الفصل في أي نقاش سياسي أو اجتماعي أو صحي أو قانوني هو القول بأن هذا مكتوب في الجريدة. فما تكتبه الجريدة يحسم أي خلاف بين وجهات النظر .. كما لم يكن هناك من خبر مؤكد لم تنشره الجريدة. وفي الواقع أن ما تنشره الجريدة بأحرف مطبوعة من رأي أو خبر يتلقاه الناس وكأنه قرآنا منزلا وقولا فصلا تخرس بعده الألسنة وتجف الأقلام .. وتصديق كل ما يخطه قلم علي صحيفة أو ينحته نحات علي حجر، موروث جاهلي قديم يحسب البعض أنه اقترن بانتشار الأمية بين العرب، ويغيب عنهم أنه موروث بشري شائع بين الشعوب بمختلف نحلها ومستواها الحضاري، حتى في عصر تفجر المعلومات وغزو الإعلام المرئي والمسموع لغرف النوم.

والالتزام بالكلمة المقروءة كان العائق الأكبر في صدر الإسلام أمام تدوين أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام؛ حيث خشي القائمون علي التسجيل المخطوط والمقروء للقرآن الكريم من الخلط بين الأحاديث الشريفة وكلام الله .. هذا لم يحول دون تسجيل الأحاديث الشريفة لاحقا في مخطوطات وكتب، دون خلط بين آيات القرآن وتفسيره والحديث والأثر والشعر وكتابات البشر فالله تعالي تكفل بحفظ الذكر الحكيم .. لكن ذلك الرعيل الأول الذي حرص علي أن يصل إلينا القرآن مكتوبا إلي جانب توالي الأجيال من الحفظة والقراء الذين نقلوا الأيات شفاهة عبر الأجيال، لم يكن ليخطر لهم علي بال أن اليوم سيأتي الذي يقدس فيه الناس الأحرف المخطوطة دون التحقق عن هوية من خطها، والذي سيبتهل فيه الخلق في محراب كلمة مقروءة كتبها صعلوك أو معتوه أو زنديق أو

موتور حديثا أو قديما ، هذا بينما يعزف أولئك عما دونته تلك الطلائع المتفانية بقلوبها ومشاعرها وأفئدتها الطاهرة علي أنه كلام قديم .

ومن الغريب أن كل من يتنصل من الإسلام علي أنه كلام رجعي يعود إلي أربعة عشرة قرنا مضت وعلي أنه لا يليق بالتقدم الحضاري الذي تحقق بالعلم والتكنولوجيا ، لا يخجل من الإشارة لكلمات طاغور وباغور وماخور والاستشهاد بكلام بوذا ويهوذا .. بل إن رواد الحضارة الحديثة يؤمنون بكلمات مكتوبة من عصور سبقت فجر الإسلام، دون أن يدروا من كتبها ودون أن يتحققوا من صحتها .

طبعا كلنا يحاول نسيان أو تناسي تلك الأيام الخوالي من جلسات المصاطب الطينية التي لا يخفف من صلابتها حصير أو مفارش، حيث أن المثل الشعبي يقول: "الذي يحكي عن أيام زمان أهبل" . وفي عصر الاستهبال لا يوجد من يرضي علي نفسه أن يوصف بالهبل .. بل إن هناك من يتندر من سذاجة رواد المصاطب القديمة وما كانوا يتمتعون به من جهل وعدم دراية بالدنيا . وأذكر أن المصريين كثيرا ما تفكهوا بتلك الجلسات العفوية التي كانت تجمع بين أهالي القري، وجلسات المقاهي في البندر والتي لم تختلف كثيرا عن مثيلاتها عن المصاطب في القري .. وكم تندرنا عن أول مجلس نيابي أسس في مصر، وقيل للنواب أن الذين يؤيدون الحكومة يجلسون علي اليمين أما المعارضة فعليها القعود علي شمال المنصة، فجلس الكل علي اليمين معلنين بإصرار "كلنا مع أفندينا" أي الخديوي .

المصطبة الحديثة

قرأت خبرا عابرا علي الإنترنت ورد في واحدة من آلاف الصحف التي تصدر في مصر، والتي هجمت علي الساحة الإعلامية كالطوفان في أعقاب ثورة ٢٥ يناير، وكأن باب الحرية انفتح علي مصراعيه لينشئ كل عريف صفحة ينفث بها عن نفسه بعد أن انفض عنه الجمع الذي يلتف حواليه علي المصطبة، فقد بطلت ظاهرة مصاطب السمر الليلي واختفت بلا رجعة من بر مصر .. الخبر الذي لم أوله التفاتا مؤداه التحفظ علي أربعة أشخاص بتهمة سرقة المال العام ونهب أراضي الدولة ومن بينهم الدكتور محمد سليم العوا .. ورغم غرابة الخبر فلم يكن هو وحده الغريب في الصحف المصرية التي صدرت عقب تقويض معالم الدولة وظهور بشائر غزوة الأحزاب علي الساحة المصرية .

لكن أحد أساتذة الجامعة في واحدة من كبري الجامعات الأمريكية، ممن أشهد لهم بالذكاء والنبوغ العلمي والعملي الخارق في مجال الهندسة قابلني غضبانا علي ما تمر به مصر من محن .. وأشار بحسرة إلي الغفلة التي كان المصريون يعيشونها قبل ظهور الحقيقة جلية واضحة في ٣٠ يونيو .. وأضاف لائما نفسه حيث لا ينفع الندم : تصور أن الدكتور العوا الذي واظبت علي الاستماع

لمحاضراته، والذي تمنيت أن ينتخب رئيسا لمصر لا يتعدي أن يكون نصابا ولصّا يسطو علي أراضي الخلق .. ورغم معرفتي بمصدر الخبر فإنني لم أتمالك أن أسأله كيف تناهي إليه الخبر، خاصة وأني لم أعهده حريصا علي تصفح الجرائد المصرية، وهل هذا الخبر صادق ؟! نظر إلي الصديق بعتاب مؤكدا صحة الخبر لأنه نشر بالخط العريض في جريدة يومية. لم أجد في نفسي القدرة علي التعليق ولكن دار بخلدي بسطاء القرية الذين اشتبهوا في أن يكون معاون البريد جاسوسا عالميا .

ومع اختفاء المصاطب الريفية ظهرت مصاطب حديثة يتصدرها عريف ليس قادر علي فك الخط فحسب بل ربما يكون ممن حصلوا علي شهادة جامعية في هوجة التعليم التي شارك فيها الحابل والنابل والوضيع الأصل ورفيع المظهر والمخبر .. كما أن العريف الحديث ليس نفرا بسيطا ممن طالتهم يد الجهادية لينظفوا كنيف سعادة الضابط، ويزيلوا ما علق بحذائه من خبث بألسنتهم لا لجريمة اقترفوها سوي أنهم أفراد من الشعب المصري الذي خلق للسهر علي راحة أكابر القوم، بل إن العريف الحديث نجم لامع يتقاضي مبالغ هائلة لأداء نفس المهمة التي كان يقوم بها نفر بسيط في الجيش تحت لواء الجهادية. أما أهل المصاطب من القرويين البسطاء الذين يصدقون كل كلمة مكتوبة في الجورنال فلم يتغيروا ولكنهم لم يعودوا أميين ولم يعدوا ضمن طبقة البسطاء، والسذج فغالبيتهم ممن حصلوا علي شهادات عليا ودكتوراهات بل إن منهم من يشار إليه بالبنان علي أنه مثقف ومفكر ومحلل وخبير .

واتصل بي أحد الأصدقاء من الأطباء النجباء الحريصين علي الصلاة والصوم، يسألني رأيي فيما يجري في مصر من أحداث، وبالطبع لم يكن لينتظر مني أن أبدي رأيا قدر ما أراد أن ينفس عن أفكار تدور بخلده وتقلقه فلقد كان منفعلا يضيق صدره بما يسمع وتعصر قلبه حسرة علي الأنباء المتواردة عن مصر خاصة من وسائل الإعلام العربية. "هل تتصور أن الإسلاميين المخابيل يجأرون في الميادين بالدعاء علي مصر بالخراب والدمار وعلي المصريين بالشتات والموت". وحاولت أن أشكك فيما سمع فأشار إلي أن تلك الدعوات مسجلة وتبثها القنوات الرسمية والخاصة ليفضحوا أولئك الذين يدعون الإسلام .. وكان من حسن الطالع مشاهدة ما أشار إليه الصديق، وكان الدعاء "اللهم عليك بمن ظلمنا، اللهم من أراد بهذا البلد الكريم سوءا فخذه أخذ عزيز مقتدر ومن كاد لأهله فرد كيده في نحره". وعجبت كيف يكون هذا الدعاء دعاء علي مصر وأهلها، كما أكد العريف المنتجب الذي يعلق علي المشهد، إلا إذا كان كل من علي رأسه بطحة يحسس عليها .

عندئذ أدركت معني نعت القرآن الكريم لأمثال أولئك العريفة المحدثين بصفات مثل الجاهلون والمجرمون والغابرون وبوصفه لمن يسمع لهم فيصدقهم بالصم الذين لا يسمعون وبعمي البصر والبصيرة .. وفي رواية عن أبو

طالب عم رسول الله عليه السلام أنه ود لو أنه كف عن وصف حكماء وعقلاء قريش بالجهل وعدم المعرفة والإدراك رغم حصافتهم، حتى لا يستجلب عداءهم .. لكن بيت الداء هو أن العريفة جهلة ينطقون بما لا يعلمون ومجرمون لأنهم يطمسون الحقائق ويتجاهلونها عندما تكون جلية للعيان، كما أنهم غابرون لا محالة وعقليتهم تنتمي إلي العصر الحجري .

ومن الأمثلة الفجة لمحدثي العريفة علاء الأسواني الذي يستحق لقب أبو العريفة وتاج رأسهم ؛ وهو يعمل طبيبا عندما يجد فسحة بين هلوسة المراهقة وجلسات المصاطب، ويروج له الإعلام الأعرابي علي أنه روائي عالمي يناطح تشيكوف وسومرست موم وشكسبير وشتاينبك وآخرين ممن قضوا قبل أن تتحقق لهم العالمية في عالم الروايات التي لا تقرأ إلا في دورات المياه وفي الخلاء، والتي قد يستخدمها البعض في الاستجمار والتجفيف بعد الاستنجاء .

وعالمية الأسواني تتأتي له من أنه كتب قصة عن شيكاغو يستعرض فيها إحاطته بخباياها وأزقتها فكانت وثيقة دامغة علي أن الجاهل الضيق الأفق لو عاش في مدينة مئات السنين ما عرف عنها شيئا سوي ما تصوره له مخيلته الصبيانية، مثله مثل الثور في حقل البرسيم. والذي يقرأ الرواية يرد علي مخيلته أن كاتبها مراهق يسترخي علي سرير في حجرة رطبة يحتلم بخيالات لا قدرة له عليها .. ولعل الجزء الوحيد من القصة الذي يضاهي الواقع هو ما ترجمه عن حرائق شيكاغو رغم انعدام صلتها بمضمون القصة التي هي تكرار ممل لأحداث قصته الأولي عمارة يعقوبيان في مناخ أمريكي يجهله تماما .. وكم من مغترب عاش في أمريكا أو في دولة أوروبية سنوات عديدة وعاد إلي وطنه كالجحش المعصوب العينين لا ينوبه من رحلته خارج الزريبة إلا وجع الركب وما قد يصيبه به راكبه من أعواد برسيم .

والبلية الكبري للإعلام المصري الغلو في المبالغة؛ فما من ممثل إلا نجم ساطع، وما من راقصة هشك بشك إلا فنانة قديرة، وما من متحدث إلا أستاذ كبير .. وكثيرا ما تؤدي تلك النعوت الفضفاضة إلي التقليل من قدر من يبالغون في مدحه .. فإني أذكر حديثا عن الدكتور مصطفي مشرفة الذي كان له أكثر من سبق علمي مشهود .. كل ما كان يضفيه الإعلام الضحل من تشريف للدكتور مشرفة هو وصفه بأنه أحد اثنين في العالم قادر علي إثبات النظرية النسبية بعد أينشتاين، هذا في نفس الوقت الذي كان طلبة الثانوية الأمريكية يدرسون النظرية مع إثباتها رياضيا؛ وفي هذا انتقاص لقدر مشرفة وليس رفعة لشأنه .

هاجم ذلك العريف الأسواني الأستاذ مهدي عاكف تعقيبا علي تصريحاته بأن ما يفعله باسم يوسف؛ وهو عريف آخر، في برنامجه الساخر الهابط ما هو إلا تطاول علي أسياده. وقد تجلت موهبة الأسواني في إشارته إلي أن المجاهد الجليل مجرد مدرس ألعاب رياضية سولت له نفسه أن يتطاول علي طبيب جراح ماهر .

الأستاذ عاكف الذي جاهد في سبيل رفعة وطنه وسيادته ونصرة دينه وكرس حياته لخدمة بلاده قضي زهرة عمره في غياهيب السجون وعكف النظام المتـــآكل دون طائل علي محاولات لكسر إرادته الصلبة وإرغامه علي التخلي عن رسالته، ورغم الوساطات المتكررة لإخلاء سبيله رفض أن يطلق سراحه قبل أن يطلق سراح آخر مسجون سياسي لوحق من أجل تمسكه بمبادئه وعقيدته .. هذه القمة الشامخة سيسجل لها التاريخ من بطولات وصمود علي طريق الكفاح إلي جانب علم وإدراك وخفض جناح للمؤمنين وستشهد له الصحف المنشورة في الآخرة بالفضل والثبات علي الحق بإذن الله تعالي .

أما الأراجوز صاحب البرنامج الساخر فيفخر بالتلمذة علي الكوميدي الأمريكي جون ستيوارت مقدم برنامج "الديلي شو" علي قناة الكوميديا والذي يفخر بأنه صهيوني للنخاع .. ورغم ذلك فإلي جانب إنه دمه خفيف ؛ علي عكس تلميذه، فإنه لم يصل من الإسفاف

المستوي الذي تدني إليه تلميذه بل إن لستيوارت مواقف يثني عليها في مواجهة الإسلاموفوبيا ، متخذا من يهوديته وجاء من هجمات الصهاينة المسيحيين والمسلمين .

وبأية حال فجون ستيوارت صنع من السخرية علي السياسيين وظيفة ولم يدع أنه جراح ماهر ولا مهندس محترف. أما الذي يجمع بين الطب والكوميديا فمن الاستحالة أن يكون نابغا في أي منهما فما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه .. والمثل الإنجليزي الشهير يقول إن الذي يدعي إجادة الصناعات كلها يستحيل عليه أن يجيد صنعة واحدة .. وأذكر أنني كنت بصدد إجراء عملية خطيرة فجاءني طبيب تخدير يستخف دم نفسه ليشرح لي ما سيقوم به في غرفة العمليات بصورة هزلية فكان رد زوجتي عليه أن طردته من غرفة المستشفي وقالت للجراح إنها لا تأمن أن يشرف أراجوز علي تخدير زوجها أثناء عملية جراحية .

ولقد ذكرتني تلك الواقعة بمدرس للتربية البدنية له منزلة كبيرة في نفسي وهو الشهيد يوسف عفيفي تقبله الله الذي لم يتوقف دوره علي تنمية القدرات البدنية لطلبته، بل إنه غرس في نفوسهم روح الوطنية والاعتزاز بأنفسهم وبشركائهم في الوطن، كما عمل علي تنمية روح الإيثار والترابط بين النشأ. لقد كان موسوعة علمية يحسدها عليه العلماء، وموسوعة فقهية يخجل أمامها فقهاء العصر .. شارك في الدفاع عن أرض فلسطين في حرب ١٩٤٨ رغم أنه لم يكن عسكريا ،

وأسـر ولكنه اسـتطاع الفكاك من قـبـضـة العـصابات الإسرائيلية، وكـان له دور ريادي في الأعمال الفدائية ضد الاحتلال الإنجليزي في منطقـة القنال وأسـره الإنجليـز وسـجنوه ونكلوا به. لكن كل ذلك لم يضاه ما لقيه من تعذيب علي يد عسكر عبد الناصر وخصيه. لقد خرج صحيحا معافي جسديا من أسر اليـهـود والإنجليـز، ولكنه لم يفلت من بطش إخوته في الوطن ممن كـان اليـهـود يدربونهم علي التنكيل ببني جلدتهم، ورغم ذلك خـرج من هذه الدنيـا مـعـافـا في دينه وفي نفـسـه راضيا بقضاء الله .

ومن العريفـة الجدد المدعو ثروت "الخراب قـوي" (الشهـيـر بالخرباوي) ؛ اسم لا يليق إلا بعـريف، الذي تـتـدافع مـصـاطب القنوات الفضائية علي استضافته لأنه دخل الإخوان وخرج منها أو عليها ، وكأن دخول جماعة أو اعـتناق فكرة يقـتـضي كـشف هيئة أو كـشف صحي كذلك الذي كـان يتعرض له الملتحقون بالجهادية قديما ، ثم إجراء عملية جراحية لصب نافوخه في قـالب يليق بالفكرة .. وكأن الخروج من الجماعة يقتضي عملية قيصرية حتي يخرج من بطن الجـمـاعـة .. فكم من شـخص آمن بالإسلام وكـفـر ثم آمن وكـفـر وكم من مـسلم تنصر أو تمسح وتهـود وتبـوذ ثم أسلم وتبـرهم وتمجس ثم أسلم وتصبأ وتدرز وتبهوأ ، دون أن يثـار حوله قـضـيـة مصطبية، ودون أن يدعي لبـرامج فـضـائيـة .. ومـا أحـسب أن جـمـاعـة انهـارت لأن أحد أعضائها انسلخ عنها وألف موسوعات عنها وعما يدور ورا ء الكواليس في ردهاتها .. كما أن الجماعات لا تقوم لها قـائمـة لأن أحـد العـريفـة تكلم عنهـا أو روج لفكرها علي إحدي المصاطب الحديثة .

ادعي العريف "الخراب قوي" بأن الشهيد حـسـن البنا لم يـكن يـحـفـظ القـرآن رغم أنه تخـرج من مـدرسـة العلوم الأولـيـة التي تحـتم عليـه حفظ القرآن، ولـكن الوسـاطة هي التي ساعدته في التخرج، كما كان يلجأ في تجميع النـاس من حـولـه إلي الـعـاب بهلوانيـة علي المقاهي في الإسـمـاعـيلـيـة .. وزاد الطين بلة زعـمـه بأن الأسـتـاذ البنا لم يتلق سوي تعليم أولي في كليـة دار العلوم؛ وكـأن كليـة دار العلوم التـابعـة لجـامعـة القـاهرة في الوقت الحاضر ليست تعليما جامعيا .. بالطبع كل ذلك لا يضـاهي مـا قـالـه من أن رئيس المخـابرات البـريطانيـة صـرح بأن الله مـعنا وسنستخدمه في ضرب الكفاح ضد الاستعمار البـريطاني، وفـسـر "الخـراب قـوي" ذلك بأنه كلف حسن البنا بالذهاب إلي الاسـمـاعـيلـيـة ضد رغبـات أهله، لوأد التحركات الشعبية ضد التواجد البريطاني .. كل هذه التخاريف قـد تؤدي الي نقل المروج لها إلي مـصـحـة نفسية تخلصه مما في نفسه من غل وحقد أو إلي مستشفي عقلي للعلاج من الشيزوفرانيا ، حيث يسمع المصاب بها أصواتا تتملك عقله وتهـيئ له أن الدنيـا تنقلب علي نافوخه .. لكن الغريب أن مقولات العريفة لاقت رواجا بين أنـاس مـتـعلمين درسـوا أصـول الإثبـات العلمي والبـداهة والاسـتـنبـاط، وبين أنـاس متدينين لا بد وأنهم سمعوا قول الله تعالي في

سورة الحجرات ؛ الآية : ٦ ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾ .

ومن أبشع ما صرح به أحد العريفة علي إحدي المصاطب المستحدثة في محاضرة عامة أن الإسلام دين الفاشية وأن محمد عليه الصلاة والسلام أول من وضع دعائم الطغيان في العالم، إذ إنه عندما فتح مكة حطم الأصنام دون مراعاة لمشاعر من يعبدها ، وأرغم الناس علي عبادة ربه، دون التسامح مع أصحاب الأديان الأخري، ولا مع من له رأي آخر .. هذه المحاضرة التي بثتها قنوات فضائية مصرية رسمية، لم تثر اهتمام أولئك الذين هبوا وثاروا وماجوا عندما قام مسيحي يدعمه يهود علمانيون برسم صور مسيئة عن الرسول عليه الصلاة والسلام؛ وكأنما النيل من

الإسلام علي قناة مصرية أمر هين خاصة وأن المتحدث اسمه محمد أو أحمد، ومن حوله كلهم من المسلمين .

مصطبة الفلاحين والصعايدة أيام زمان كانت لا تتكلف سوي وعاء شاي يحضره صاحب البيت أو الدوار، وقد يحضر أحدهم كيزان ذرة حلوة من غيطه لشويها علي النار التي يوقدونها في ليالي الشتاء، وقد يحضر البعض شقفات من الفطير الدماسي للمشاركة مع أصحابه في العيش والملح، إذا كان بيته قد خبز يومها .. وكل الحضور من المصريين القح الذين يشربون من ماء النيل العكرة ويأكلون مما تجود بها تربتها التي لا تضن علي أحد بما أودع الله فيها من رزق، وأصحاب الأيادي التي تقشفت من الكد والعمل في الحقل من صغرها .

أما المصاطب الحديثة التي يبث ما يجري فيها علي الهواء مباشرة ليسمعها كل من عنده صندوق سحري ينقل له الكلام بالصوت والصورة إلي مضجعه دون الحاجة للجلوس متربعا احتراما لغيره، فيمولها المشتغلون في تجارة الجنس والصبية والعذراوات، والعاملون في عمليات غسيل أموال اللصوص من مهربي الأموال وناهبي ثروات الفلاحين والصعايدة. ويتصدرها جبل من الخونة والجهلة من أصحاب الأيادي الناعمة والأفخاذ المتورمة من طيل القعود علي المصاطب المرصعة بجماجم المصريين .

د. عبد الفتاح الحسيني
الولايات المتحدة الأمريكية

اليهود يصلون فى الأقصى

فهمى هويدى

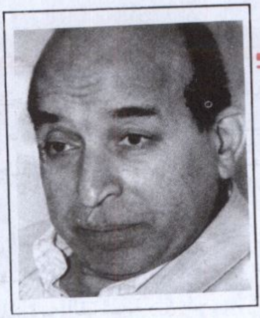

فى صيف عام ١٩٦٩ (٢١ أغسطس) أشعل أحد الصهاينة حريقا فى الجناح الشرقى للمسجد الأقصى، الأمر الذى أدى إلى التهام محتوياته التى كان من بينها منبر تاريخى معروف باسم منبر صلاح الدين .. وقتذاك غضب المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها، وخرجت تظاهراتهم فى مختلف العواصم، وتداعى زعماء الدول الإسلامية إلى اجتماع طارئ لبحث الأمر، أسفر عن تأسيس منظمة المؤتمر الإسلامى (منظمة التعاون الإسلامى الآن)، بناء على اقتراح من الملك فيصل بن عبدالعزيز، رحمه الله. ومنذ ذلك الحين اعتبرت تلك المنظمة من أصداء غضبة المسلمين وصدمتهم لما أصاب المسجد الأقصى التى استنفرت قادتهم لمحاولتهم التصدى للمساس بالمسجد الأقصى الذى يعد أحد مقدسات المسلمين ورموز وحدتهم .. وهو الموصوف فى الأثر بأنه أولى القبلتين وثانى المسجدين وثالث الحرمين الشريفين.

بعد ٤٤ عاما ـ يوم ٤ نوفمبر الحالى ـ عرض نائب وزير الأديان الإسرائيلى على الكنيست مشروع قانون يقضى بتقسيم المسجد الأقصى بين المسلمين واليهود، على غرار ما حدث مع الحرم الإبراهيمى فى الخليل، بحيث يسمح القانون بتحديد مواقع وأزمنة معينة لأداء الصلوات اليهودية، فردية وجماعية فى الحرم القدسى .. وهو ما أثار غضب النواب العرب فى الكنيسيت، فانسحبوا من الاجتماع، إلا أن النواب الإسرائيليين اختلفوا بشأن الموضوع، لأن ثمة فتوى إسرائيلية لا تجيز هذه الصلاة .. وإزاء ذلك فإنهم أجلوا البت فى المشروع لحين استطلاع رأى الحاخامية العليا، وما إذا كانت تقبل بذلك أم لا.

الأسوأ من الجرأة والاستعلاء اللذين عبر عنهما الموقف الإسرائيلى، هو الذهول المدهش الذى ران على العواصم العربية، بحيث لم نجد للخبر صدى يذكر فى تلك العواصم ومصر بوجه أخص، لا الساسة تكلموا وقالوا كلمة تحفظ ماء الوجه، حتى من قبيل عبارات الشجب والاستنكار المكرورة، ولا الإعلام أولى الأمر ما يستحقه من اهتمام، أغلب الظن بسبب انكفائه واستغراقه فى الشئون الداخلية لكل قطر .. استثنى لجنة القدس باتحاد

الأطباء العرب التى أصدرت بيانا فضحت فيه المخطط الإسرائيلى، وسلطت الأضواء على أوجه الخطر فى القانون الجديد الذى يرا د من الكنيسيت تمريره. تضمن البيان مقارنة بين الوضع الحالى للمسجد الأقصى والوضع الجديد الذى يراد فرضه من خلال مشروع القانون الذى قدمه نائب وزير الأديان، فى هذه المقارنة تبين ما يلى :

فى الوقت الراهن يعرف المسجد الأقصى بأنه كل ما دار حوله السور .. فى حين أن المشروع الجديد يذكر أن "جبل الهيكل" هو كل المساحة المسورة فى خارطة جرى رسمها ، ويشمل كل المبانى فوق وتحت الأرض .

حاليا تعد إدارة المسجد الأقصى تابعة لوزارة الأوقاف الأردنية .. وفى المشروع المستجد فثمة "مفوض" يدير شئون جبل الهيكل، ويحدد كل من يحق له دخول جبل الهيكل ويعينه وزير الأديان الصهيونى .

فى الوقت الراهن يعد الأقصى كله مقدسا إسلاميا وملكية إسلامية وكله مسجد طهور .. وبمقتضى المشروع الجديد فإن "جبل الهيكل" يضم أربعة اقسام، منطقة مقدسة يهودية وتشمل كل صحن قبة الصخرة، ومنطقة لعبادة اليهود وتشمل خمس مساحة جبل الهيكل فى القسم الشرقى منه، ومنطقة خاصة بالمسلمين تشمل أربعة دونمات فقط وهى المصلى القبلى، وباقى المساحات هى مشتركة بين الديانتين !

حاليا الأقصى مفتوح للمسلمين فى أى وقت وخلال كل الأيام ولا يحق لأحد أن يغير هذا الواقع أو يعبث فيه .. وطبقا للمشروع فإن الأقصى مفتوح لليهود فى كل وقت وحين ومن جميع أبوابه، ويحق للمفوض أن يسمح لمن يشاء ويمنع من يشاء من دخوله .

فى حين أن الأقصى خلا من اللوحات العبرية وفيه فقط لوحات إسلامية وشعارات إسلامية .. فإن المشروع الجديد يوزع فى أنحاء الأقصى تعليمات الهيكل المزعوم، وتنتشر فيه اللوحات الإرشادية لكل من يريد أن يحج إلى جبل الهيكل !.. ولا يحق لأحد أن يقوم بأى من أعمال الصيانة أو التنظيف أو الترتيب داخل الأقصى إلا بموافقة المفوض، وتمنع أى أعمال ترميمٍ أو صيانة تقوم بها الأوقاف .

وطبقا للمشروع أيضا فإن كل من يخالف هذه البنود الجديدة يحكم عليه بالسجن ٦ أشهر أو غرامة ٥٠ ألف شيكل .

قرأت ان السيدة جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل وقت وقوع حريق عام ١٩٦٩ قالت إنها لم تنم يومذاك، لأنها ظلت طوال الليل تتخيل رد الفعل العربى إزاء الجريمة، وكيف أن العرب الغاضبين سوف يزحفون على إسرائيل من كل حدب وصوب .. إلا أنه عندما طلع الصبح ولم يحدث شىء أدركت أنه بمقدورنا أن نفعل ما نشاء دون أن نقلق كثيرا من رد الفعل العربى، لأننا بإزاء أمة نائمة .

تتساقط الكلمات فى حلقى ولا أجد تعليقا على تلك العبارة، لكننى أتساءل إذا اعتبرنا يومذاك (فى عام ١٩٦٩) أمة نائمة، فما هو الوصف المناسب لنا الآن ؟!

جراحة فى جسد الوهم !!

بقلم : زغلول عبد الحليم

"إخلاص يتميز به أصحاب الرسالات"

هذا ما قاله العلامة "محمد عمارة" عن كتاب (وهم الإلحاد) للنابغة الدكتور عمرو شريف أستاذ الجراحة بجامعة عين شمس، وأفضل ما يمكن أن نصف به العلامة الدكتور محمد عمارة هو أنه محمد القلعة : قلعة حصينة يدافع بها عن الإسلام، وصف وصفه به الشيخ محمد الغزالي فقال : هو ليس عمارة، ولكن قلعة حصينة من قلاع الإسلام، نعم إنه مفكر الوسطية وهو المفهوم الذي جاء به القرآن الكريم، وما جاء به القرآن هو الفطرة التي فطر الله الناس عليها والتي من خصائصها أنها تجرب كل الأفكار، وتجتهد في كل الاتجاهات وتمارس حياتها (تخطئ وتصيب) وفي تقديم الدكتور عمارة لكتاب (وهم الإلحاد) تأكيدا لما يؤمن به ودعا إليه وتضمنته كتبه وأحاديثه أنه عقل يفقه الأحكام ويفقه الواقع ويعقد بينهما .

للعالم الفذ أينشتين مقولة شهيرة معبرة يقول فيها "إن أكثر الأمور استعصاء على الفهم في الكون أنه مفهوم" ص ٤٨

ويتابع الدكتور عمرو قائلا : تشير هذه المقولة إلى أن الكون وكل ما فيه منظم، مترابط، يخضع لقوانين واحدة، وقابل للفهم والتنبؤ، وبدون هذه الحقيقة وبدون استيعابنا بها ما كان للعلم أن يقوم، فما مصدر هذا الانتظام ؟.. وما مصدر يقيننا بوجوده ؟..

ويرد الدكتور عمرو بقوله "يرجع العالم كالفن الحائز على جائزة نوبل في الكيمياء الحيوية هذا الانتظام وهذه القناعة إلى الإيمان بالله الواحد الذي أنشأ الكون ويديره بنظام وتناغم حيث إن آلهة متعددين يديرون الكون كل بقوانينه كان حتما سيؤدي إلى انهياره) ص ٤٨ ، وصدق الله العظيم القائل في كتابه ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ .. (الأنبياء: ٢٢) .

ويقول الدكتور عمرو : ويرجع كالفن القول بالتوحيد إلى نبي الله إبراهيم عليه السلام، ومن ثم يصبح الأصل التاريخي لاستشعار الكون منظم ومن صم يصبح التوحيد هو أساس العلم الحديث ص ٤٨

ومن أروع ما قاله الدكتور عمرو شريف : أما الإسلام، فليس للمعجزات دور فيه، فالسيرة النبوية لا تحمل لنا اسم أي صحابي بعد أن عاين أكثر معجزتين (الإسراء وشق القمر) إذ وثقهما القرآن الكريم، أما براهين وأدلة الألوهية والرسالة في الإسلام، فتقوم على : العقل وتنبيه الفطرة .

لذلك انتفت الحاجة إلى رسالات لاحقة وأصبح الإسلام هو خاتم الرسالات السماوية، وكذلك فإن ثنائية الخالق والمخلوق والرب والعبد شديدة الوضوح في القرآن الكريم، حتى إن الله تعالى قد أثنى على رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم بمقام العبودية في كتابه

الكريم، كما أن ثنائية الخالق والمخلوق، والرب والعبد ثنائية أساسية في علاقة الإنسان بالإله.

يؤكد الدكتور عمرو شريف على :

١- محدودية دور المعجزات .

٢- ثنائية الخالق والمخلوق والرب والعبد .

٣- القرآن الكريم كلام الله قطعا ، ولا يمتزج بكلام الرسل أو الشراح .

ويقول أيضا في رده على (الدراونة) نسبة إلى (دارون) إن كل ما قدم الدراونة من تفسيرات لخلق التعاطف وللإيثار ليس إلا هروبا من التفسير الحقيقي، وهو أن الإله الرحيم قد فطر الإنسان على خلق الرحمة فصار يحيا تحركه القاعدة الإلهية بأن من لا يَرحم لا يُرحم .

إذن الفطرة وهي الجلبة التي ولد عليها الإنسان والصفة التي يتصف بها كل موجود في أول زمان خلقته والمعنى الثاني لنا هو الدين، كما يقول العلماء .

لقد فطر الله الإنسان على السلامة خلقه وطبعا وبنية، استعداد فطري لقبول الدين، ليست النفس شريرة بطبيعتها والذي يفلح هو الذي يتوجه فيها إلى الخير.

ويقول العلماء : إن الفطرة من أهم الأدلة على وجود الله تعالى، فالكون بما فيه ومن فيه مفطور على الاعتراف بوجود الخالق إلا من غلبت عليه الشقاوة والغباوة.

ويؤكد "دين هامر" رئيس مركز أبحاث الجينات بأمريكا، أنه توصل إلى مجموعة من الجينات المسئولة عن تشكيل المراكز المخية، وأطلق علي تشكيل تلك المراكز اسم (جين الألوهية) أكد فيه أن الشعور بالإله، والرغبة في التوجه إليه بالعبادة وكذلك الشعور بوجود النعيم والعذاب في حياة أخرى بعد الموت أمور فطرية عند البشر في جميع الحضارات عبر التاريخ وعبر الجغرافيا ص ١٠٤

ويعلق الدكتور عمرو شريف على ما انتهى إليه دين هامر : "قوبلت هذه المفاهيم بعدم ارتياح في الأوساط المادية فهي تنفي أن المشاعر الدينية مجرد هلاوس كما تثبت أنها نتاج عمليات عقلية سوية" وقد أوضح لنا العلامة محمد عمارة في مقدمته "أن الإلحاد عبثية ولا نلمح له وجودا حقيقا في مجتمعاتنا الإسلامية وقد نجد فقط نماذج قلقة إزاء الإيمان الديني وقد أرجع الدكتور عمرو شريف ظهور الأنماط الفكرية المعادية للدين إلى التوجهات العقلانية المادية التي ظهرت فيما عرف بفلسفات التنوير ثم إطلاع المصريون على التوابع الفكرية لنظرية التطور ومفاهيم فرويد الذي غذى الحلم الماركسي الملحد .. وانتهى في كتابة إلى ضرورة أن تمتد حرية الحوار إلى المجتمع كله، فالآراء الصحيحة الصريحة الحرة هي القادرة على دحض الإلحاد وهو المنهج الذي وجهنا إليه القرآن الكريم ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ﴾ .. (البقرة : ١١١) .

سبحانه مطلق القدرة خالق الوجود من العدم الذي أنشأ الزمان والمكان والطاقة والمادة الإله الخالق الحكيم القادر القديم الأزلي خالق الوجود من العدم ولا مكان لانفجار عظيم أو غيره إلا في عقول الذين لا يفكرون .

قراءة فى فكر سياسى أمريكى

أورخان محمد على

عندما أصدر المؤرخ البريطاني المعروف "أرنولد توينبي" دراسته الضخمة بل موسوعته في تاريخ وحضارات العالم في اثني عشر مجلدا تحت عنوان "دراسة في التاريخ" "أخذت هذه الدراسة منه أربعين سنة (١٩٢١- ١٩٦١)" خصص في فهارس المجلدات من السابع وحتى العاشرمساحة لبريطانيا بلغت سدس المساحة التي خصصها لتاريخ ولحضارة مصر .. وتعرض جراء هذا إلى نقد مرير من قبل بعض المؤرخين والكتاب وعلى راسهم "السير أرنست باركر"، حيث عدوا عمله هذا جحودا بحق بلده بريطانيا ... ورد توينبي على منتقديه ردا طريفا فقال إن المصادفة وحدها هي التي جعلت مساحة فهارس بريطانيا سدس فهارس مصر ؛ لأنه لو قام بتخصيص مساحات الفهارس حسب أهمية الدور الذي أدته كل من بريطانيا ومصر في حضارة العالم وتاريخه لكان من المفروض ألا يتعدى نصيب بريطانيا جزءاً واحدا من ستين جزءاً، ويكون الباقي (أي ٥٩ جزءاً) من نصيب مصر .

تناول توينبي في موسوعته هذه بالشرح والتحليل جميع الحضارات التي شهدتها الإنسانية حتى الآن ومجموعها ٢١ حضارة لم تبق منها الآن سوى خمس حضارات : الغربية، الإسلامية، الهندية، الأرتدوكسية والصينية .

كان هذا المؤرخ البريطاني الذي قدم نظرية عميقة

في فلسفة التاريخ وفي قيام واندثار الحضارات وهي نظرية "التحدي والاستجابة" - يعرف نواقص الحضارة الغربية ويشير إليها حتى اتهمه البعض بأنه عدو للحضارة الغربية وأنه يتمنى زوالها. وكان يرى أن طريق الخلاص أمام الحضارة الغربية هو القيام بعملية تلاقح بين الحضارات الموجودة حاليا، وليس في نبذها واتخاذ الحضارة الغربية القبلة الوحيدة للإنسانية. وكان يقول بأن حركات التقليد للحضارة الغربية (قدم أنموذجين لها : الحركة الكمالية في تركيا وحركة محمد علي باشا في مصر) تشبه تغيير الحصان في وسط تيار نهر عنيف. أي أن المصير هو أنك قبل أن تستوي على ظهر حصانك الجديد يكون التيار قد جرفك. أي أنها عملية غير مأمونة من جانب وهي حركة عقيم ؛ أي لا يمكن أن تكون حركة إبداعية من جانب آخر، والأمة المقلدة محكومة أن تبقى في ذيل قافلة الإنسانية. كما أشار إلى خطورة التقوقع على الذات أيضا.

وقدم لها أنموذجين: الحركة السنوسية في شمالي أفريقيا، والحركة الوهابية في الجزيرة العربية. فمثل هذا التقوقع في رأيه يشبه التصدي للمدافع والطائرات بالرماح والسهام ... أي هي حركة محكوم عليها بالزوال.

إذن ما الحل ؟..

الحل هو الانفتاح على العالم بوعي ودون الوقوع في أسر التقليد السهل والعقيم ؛ أي أن تأخذ وأن تعطي، أن تختار ما تختاره عن وعي، وأن تنبذ ما تنبذه عن وعي.

هذا أنموذج من نماذج المفكر الواسع الأفق ... البعيد عن التعصب.

وهناك أيضا أنموذج المفكر المسلم رجاء جارودي الذي تناول هذا الموضوع في كتابه " حوار الحضارات" ... حوار الحضارات وليس صراع أو صدام الحضارات.

وهناك أنموذج المفكر الذي يكتب حسب طلب بعض الجهات الاستخباراتية والحكومية ... ويقدم خدماته حسب ما يطلب منه ؛ لأن كتاب هنتنجتون في صراع الحضارات كان الخلفية الفكرية للتخطيط الأمريكي في السياسة لما بعد الحرب الباردة ولعالم القطب الواحد بعد انهيار الاتحاد السوفيتي.. وكما هو معلوم فما يحدث الآن ليس إلا تطبيقا لمخطط استراتيجي وضع قبل عشرة أعوام تقريبا. وكان لا بد لهذا المخطط الاستراتيجي من أرضية فكرية وفلسفية يبدو وكأنه يستند إليها. وليس من المصادفات أن المسئولين في حلف الناتو صرحوا عقب انهيار الاتحاد السوفيتي : "إن الخطر الأحمر قد زال ...أما الخطر الحالي فهو الخطر الأخضر"... أي الخطر الإسلامي. مع أن العالم الإسلامي بوضعه المتخلف، وبوضعه المنقسم الحالي، وبالمصائب الكبيرة التي يعيشها في مناطق عديدة أبعد بكثير أن يشكل خطرا

على الغرب. كما أن الأكثرية الساحقة من الدول الإسلامية منضوية تحت الجناح الأمريكي .. ولو أشار مسئولو حلف الناتو إلى الصين الشعبية كخطر متوقع لكان هذا أمرا مفهوما .. ولكن الظاهر أن الغرب يرى في الإسلام أيديولوچية أخطر من الأيديولوچية الشيوعية التي هي في نهاية المطاف ناتج من نواتج الفكر الغربي، ولا تشكل الأيديولوچية الشيوعية خلافا مع الغرب إلا في الناحية الاقتصادية (حتى هذا الخلاف خف كثيرا بعد التنازلات العديدة عن الفكر الشيوعي في التطبيق، والتي ظهرت في الصين الشعبية في الساحة الاقتصادية في السنوات الأخيرة) .. بينما يتميز الإسلام وفكره ونظرته للكون وللحياة وللمجتمع وللأسرة بخطوط أعمق وأكثر أصالة وأكثر قدرة على الدوام والاستمرارية .. وهو لكونه دينا وليس مبدأ أو فلسفة وضعية كغيرها من المبادئ والفلسفات فمن الصعب محاربته أو محاولة اقتلاعه من ضمائر الناس الذين يدينون به. لذا فلا يمكن التصدي له بصراحة بل تحت مسميات أخرى مثل محاربة الإرهاب أو محاربة الأصولية مثلا .

وبينما يقدم مفكرون من أمثال "هنتنجتون" و"فوكوياما" الحضارة الغربية كحضارة وحيدة يجب أن تسود العالم دون أي منافس .. أو هي الحضارة التي انتهى بها التاريخ فلا حضارة حقيقية بعدها ولا حضارة بديلة لها، نرى أن هناك مفكرين وسياسيين آخرين يرون أن هذه الحضارة في طريق الإفلاس والاندثار.

نحن لا نتحدث عن مفكرين سابقين أمثال "شپنجلر" الذي تنبأ باندثار الحضارة الغربية في كتابه المعروف "أفول الغرب"، ولا عن "أرنولد توينبي" الذي بسطنا بعض آرائه أعلاه، بل نتحدث عن مفكرين وسياسيين معاصرين منهم السياسي الأمريكي المعروف "باتريك جي بوكانان Patric J. Buchanan" الذي سنتناول آراءه التي بسطها في كتابه الأخير "موت الغرب Death of the West"

لمحة عن هذا السياسي

ترشح باتريك جي بوكانان (اسمه المختصر : بات Pat) لرئاسة الدولة عن الحزب الجمهوري الأمريكي مرتين، ولم ينجح في أي منها. ثم اشترك في انتخابات الرئاسة في الولايات المتحدة الأمريكية عام ٢٠٠٠م كرئيس لحزب "التجديد" ولم

ينجح كذلك حيث لم يحصل إلا على أقل من واحد بالمائة من الأصوات .

كتابه الأخير

سنتناول هنا باختصار ما أورد في كتابه الأخير "موت الغرب" من توقعات وتنبوءات حول مصير الغرب والحضارة الغربية، ولا سيما ما تنبأ به حول الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا .. فهو يقول إن الولايات المتحدة الأمريكية ستكون من دول العالم الثالث بحلول عام ٢٠٥٠م، وأن العالم الإسلامي سيحتل آنذاك المكانة التي يحتلها الغرب الآن.

يتنبأ هذا السياسي بأن العرب والمسلمين والإفريقيين سيحتلون أوروبا في هذا التاريخ، وأنه لن تكون نسبة الموجودين من أصل أوروبي سوى ١٠٪ فقط من مجموع سكان العالم آنذاك .. وأن ثلثهم سيكونون فوق سن ٦٠ سنة .. وهو متشائم حول مصير اليابان أيضا ؛ لأنه يقول إن اليابانيين سيختفون من وجه الأرض بشكل تدريجي كالغربيين تماما.

وهو يتنبأ بنقص مخيف في عدد نفوس بلدان أوروبا وروسيا .. وندرج أدناه الانخفاض السكاني الذي يتوقعه في ذلك التاريخ:

ستنقص نفوس أوروبا آنذاك بمقدار ١٣٥ مليونا عن العدد الحالي .

نصيب ألمانيا من هذا النقصان ٢٣ مليونا.

نصيب روسيا من هذا النقصان ٣٠ مليونا

نصيب إيطاليا من هذا النقصان ١٣ مليونا .

ويقول : بينما تتجه روسيا نحو الأفول ونحو نقص كبير في النفوس سيزداد عدد المسلمين فيها زيادة انفجارية كبيرة.

وهو يتنبأ أن أوروبا ستكون أمام خيارين لا ثالث لهما : إما القيام بتخفيض كبير جدا في مساعدات التأمين الصحي والتأمين ضد البطالة، وبتخفيض كبير في رواتب المتقاعدين، وإما ستقوم بجلب ملايين العرب والمسلمين للحفاظ على استمرار مستوى الرفاه والرخاء فيها .

بالنسبة لإسرائيل فهو يتوقع لها الكارثة أيضا بحلول عام ٢٠٥٠م حيث سيزداد عدد الفلسطينيين إلى ١٥ مليونا ؛ أي سيكونون ضعف عدد نفوس اليهود في إسرائيل، وسيكون هذا الأمر مشكلة قاصمة لإسرائيل .

وهو يقول إن عدد المسلمين حاليا قد تجاوز عدد الكاثوليك الذين كانوا الأكثر عددا من بين جميع الأديان حتى الآن. ويقول إن الأمم المسيحية في طريق الانحدار والزوال، وأن العالم المسيحي لن يستطيع العثور على أي حل لزيادة النفوس .. أي لا يستطيع حل أهم معضلة ومشكلة تواجهها وهي مشكلة تناقص أعدادها ... أي لن تستطيع الهرب من القدر المحتوم الذي ينتظرها .

وهو يتنبأ بحدوث حرب بين الولايات المتحدة الأمريكية والمكسيك ؛ لأنه يرى أن الولايات المتحدة الأمريكية ستواجه سيلا من المهاجرين الفقراء من المكسيك، وهؤلاء الفقراء سرعان ما تتحسن أحوالهم وظروفهم المعيشية ويصبحون أصحاب رءوس أموال وأصحاب شركات، وأن العديد من الزعماء المكسيك يخططون للاستيلاء على القسم الجنوبي الغربي من الولايات المتحدة الأمريكية من الناحية السكانية ومن الناحية الثقافية، وأن تعاظم وتفاقم هذا الأمر سيدفع إلى إشعال نار الحرب بين المكسيك والولايات المتحدة الأمريكية .

ولكن كيف تنقلب الولايات المتحدة الأمريكية إلى دولة من دول العالم الثالث بحلول عام ٢٠٥٠م؟ يقول إنها ستتعرض إلى موجة من الهجرة من الدول المتخلفة والفقيرة.

أما العامل الرئيسي الذي يراه في انحدار الغرب عموما وأفوله فهو تخلي الغرب عن العقيدة المسيحية حيث يقول :

(عندما تموت العقائد يموت الناس كذلك. هناك مدنية ملحدة ترتفع الآن وتتقوى. ونتيجة لطغيان الثقافة الإلحادية ستقوم المحاكم بطرد المسيحية خارج حدود مدنيتنا).

والآن لنقف لنفكر مليا في تنبؤات هذا السياسي...

هل يؤمن هذا السياسي فعلا بأفول الغرب ويتصاعد دور الإسلام والمسلمين في مسرح الحياة وبقيادتهم للعالم بعد خمسين سنة تقريبا ؟

أم يرمي من وراء كتابه هذا إلى بث الرعب في نفوس الغرب ساسة وشعوبا والإيحاء إليهم أن الإسلام هو الخطر الداهم وأنه يجب من الآن اتخاذ جميع الاحتياطات اللازمة مثل تحديد الهجرة، ولا سيما هجرة المسلمين إلى الغرب، للحيلولة دون حدوث هذا الأمر؟

أهذا الكتاب نمط آخر من كتاب "صراع الحضارات" ؟

أهو نوع جديد من حملة الكره الموجهة ضد المسلمين ؟

وهل يعقل قدرة المسلمين وهم بهذا المستوى من التخلف العلمي والتكنولوچي على ردم هذه الهوة الواسعة بينهم وبين الغرب في العلم والصناعة والتكنولوچيا – والتي تتسع على الدوام ولا تتناقص في أقل من خمسين سنة ؟

وهل زيادة عدد النفوس هو العامل الأول والأخير في تقرير من سيحكم العالم غدا ؟

نحن لا نريد تثبيط عزائم المسلمين ... ولكن عليهم ألا يتصوروا أن أفول حضارة وقيام حضارة أخرى مرتبط فقط بعدد النفوس... الأمر أعقد من هذا بكثير .

ما لم يرجع المسلمون إلى دينهم وعقيدتهم الصافية، وما لم يتفوقوا في مجالات العلم والتكنولوچيا والاقتصاد

والقوة العسكرية المعتمدة على صناعتهم وليس على استيراد الأسلحة العسكرية الغربية وأكثرها تعود لسنوات سابقة فلن يستطيعوا تحقيق أمر ذي بال، وسيبقون في ذيل قافلة البشرية .

ولكن الخطر الذي يشير إليه مؤلف الكتاب حول تناقص الأعداد في الغرب خطر حقيقي ومهم .. وهو أبلغ دليل على مدى تشوه العلاقة الفطرية الموجودة بين الرجل والمرأة في الغرب، وكيف انقلبت هذه العلاقة إلى تجارة الجنس وإلى استغلال المرأة في ميادين الإعلانات كبضاعة من البضائع. وكيف أدى هذا إلى تدهور نظام الأسرة فأدى بالتالي إلى قلة الإقبال على الزواج وإلى الإعراض - بنسبة كبيرة - عن الإنجاب إشباعا لروح الأنانية السائدة في الإنسان الغربي الذي لا يريد تحمل مسئولية إنجاب الأطفال ؛ لأنه يراهم قيدا لحريته وعبئا على اقتصاد البيت .

ونحن نوافق المؤلف أن الغرب لن يستطيع العثور على أي حل لهذه المشكلة.؛ لأنه لن يستطيع إقامة العلاقة بين الرجل والمرأة على أسس صحيحة وفطرية كما فعل الإسلام .

ونريد هنا أن نجر آذان العلمانيين عندنا الذين لا يزالون- على عادتهم القديمة - يدعون العالم الإسلامي للعيش على النمط الغربي ونقول لهم : "ألا ترون مصير أساتذتكم الغربيين الذين تقلدونهم دون أي تفكير ؟... ألا ترونهم يجأرون بالشكوى ويحاولون العثور على حل ينقذهم وينقذ المدنية الغربية من الزوال ؟... ترى بماذا ستنصحونهم ؟ أتنصحونهم بالعيش على النمط الغربي كما هو دأبكم هنا ؟...".

إن بقاء مؤسسات الأسرة والزواج في العالم الإسلامي سليمة في الأغلب وفي وضع جيد من أهم عوامل الصحة والقوة في العالم الإسلامي .. ولهدم هذه المؤسسة وتشويهها وإضعافها عقد العديد من المؤتمرات الدولية التي دعت إلى حرية الشذوذ الجنسي وحرية الإجهاض وإلى تحديد النسل وإلى الحرية السائبة والخالية من أي قيد للمرأة.. وكلها دعوات تَنْصَبُ في النهاية إلى هدم النظام العائلي في العالم الإسلامي وهي القلعة الحصينة الوحيدة الباقية سليمة .

ولعل ما جاء في هذا الكتاب عبرة للببغاوات من الكتاب العلمانيين الذين أيدوا بحرارة أهداف ومقررات هذه الندوات الدولية المشبوهة .

المفكر والكاتب الكبير أورخان محمد علي في سطور :.

ولد أورخان محمد علي في ٣٠ تشرين الأول عام ١٩٣٧م في العراق في مدينة كركوك من عائلة تركمانية عراقية، وله سبعة إخوة ، اثنان من الذكور وخمس من الإناث .

أكمل دراساته الابتدائية والمتوسطة والثانوية في كركوك، ثم توجه إلى اسطنبول لإكمال دراسته الجامعية فالتحق بكلية الهندسة المدنية، وتخرج منها حاصلاً على شهادة الماجستير عام ١٩٦٣م

عاد إلى العراق بعد تخرجه وأنهى الخدمة العسكرية ثم عُيّن مهندساً في وزارة الإسكان والتعمير في قسم المشاريع الكبرى، وقد شارك في إنجاز العديد من المشاريع الكبيرة في بغداد ، واختير كأفضل صاحب مشروع في العراق .. ولشغفه بطلب العلم فقد التحق بالدراسة المسائية في كلية الإدارة والاقتصاد بالجامعة المستنصرية في بغداد وتخرج منها عام ١٩٧٦م حاصلاً على درجة البكالوريوس في الاقتصاد .

أحيل على التقاعد من خدمته الوظيفية بطلب منه عام ١٩٨٩م، ثم سافر ثانية إلى اسطنبول عام ١٩٩٤م واستقر فيها .

كانت القراءة هوايته الوحيدة حين كان بمرحلة الابتدائية، وقد قرأ بغزارة الكثير من الكتب بمختلف المجالات، وحين بلغ الجامعة بدأ بترجمة ما كان يراه نافعاً من الكتب من اللغة التركية إلى العربية، واهتم كثيراً بترجمة مؤلفات بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله وفي مقدمتها رسائل النور، وبعد تخرجه قام بترجمة كتب أخرى من الإنجليزية إلى العربية، ثم باشر بعد ذلك بالتأليف في مجالات فكرية وأدبية، وظل يعمل في مجال التأليف والترجمة حتى أواخر حياته .

متزوج وله ثلاثة أولاد ، ابنان وبنت واحدة وجميعهم تخرجوا في الجامعات باختصاصات مختلفة .. أهم آثاره في مجالات الترجمة والتأليف :

أ. الكتب العلمية :

١- دارون ونظرية التطور : مترجم عن التركية (مطبوع)

٢- الإنسان ومعجزة الحياة : مترجم عن التركية (مطبوع) .

في نظرية التطور : هل تعرضتَ لغسيل الدماغ ؟ مترجم عن الإنجليزية (مطبوع) .

٤- الانفجار الكبير أو مولد الكون : مترجم عن التركية (مطبوع) .

٥- أسرار الذرة : مترجمة عن التركية (مطبوع) .

٦- النظريات العلمية ونظرية التطور: مترجمةعن الإنجليزية (مطبوع) .

٧- نظرية التطور ليست ثابتة : تأليف: أورخان محمد علي (مطبوع) .
٨- تهافت نظرية التطور أمام العلم الحديث : تأليف : أورخان محمد علي (مطبوع) .
٩- مناقضة علم الفيزياء لنظرية التطور : تأليف : أورخان محمد علي (مطبوع) .
١٠- سجل المتحجرات يتحدى نظرية التطور : مترجم عن الإنجليزية (غير مطبوع) .
١١- الإيدز : مأساة المستقبل : مترجم عن التركية (غير مطبوع) .
١٢- (الدماغ والنظام العصبي في الإنسان) مترجم عن التركية (غير مطبوع) .
١٣- الإيمان من نافذة العلم : مترجم عن التركية (غير مطبوع) .
١٤- مذكرات نحلة مترجم عن التركية : (غير مطبوع) .
١٥- حقيقة الخلق ونظرية التطور : مترجم عن التركية (مطبوع) .
١٦- مناقضة علم الكيمياء لنظرية التطور: تأليف : أورخان محمد علي (غير مطبوع)
١٧- مولد الكون ونهايته : تأليف : أورخان محمد علي (غير مطبوع) .
١٨- معجزة خلق الإنسان : مترجم عن التركية (مطبوع) .
١٩- معجزة النحل : مترجم عن التركية (غير مطبوع)

ب- السيرة وفقهها (سلسلة النور الخالد) :

١- النبي المرتقب : مترجم عن التركية (مطبوع) .
٢- من صفات الأنبياء : مترجم عن التركية (مطبوع) .
٣- عظمة الفطنة في نبوة محمد(صلى الله عليه وسلم) : مترجم عن التركية (مطبوع) .
٤- فن التربية وحل المعضلات : مترجم عن التركية (مطبوع) .
٥- الرسول (صلى الله عليه وسلم) قائداً : مترجم عن التركية (مطبوع) .
٦- العصمة النبوية : مترجم عن التركية (مطبوع) .
٧- السنة النبوية : مترجم عن التركية (مطبوع مؤلفاته في المجالات التاريخية :
١- السلطان عبد الحميد الثاني حياته وأحداث عهده .. (مطبوع) .
٢- سعيد النورسي : رجل القدر في حياة أمة .. (مطبوع) .
٣- روائع من التاريخ العثماني .. (مطبوع) .
٤- قصة حزب الرفاه ... (مطبوع) .
٥- سعيد النورسي : نظرة عامة عن حياته .. (مطبوع) .
٦- البابا الذي رجم حتى الموت .. (مطبوع) .
٧- ما وراء الأستار .. (مطبوع) .
٨- الدولة العثمانية المجهولة : مترجم عن التركية .. (غير مطبوع) .

الكتب الفكرية :

١- موقف الدين من العلم : مترجم عن التركية ..(مطبوع

٢- حوار حول القضاء والقدر : مترجم عن التركية ..(مطبوع) .

٣- حوار حول الحقيقة : مترجم عن التركية ..(غير مطبوع) .

٤- حوار بين مؤمن وكافر : مترجم عن التركية ..(مطبوع) .

٥- أسئلة العصر المحيرة : مترجم عن التركية .. (مطبوع) .

٦- الموازين:أضواء على الطريق : مترجم عن التركية ..(مطبوع

٧- تحليل جديد لأفكار فرويد : مترجم عن التركية .. (غير مطبوع) .

٨- أضواء قرآنية : مترجم عن التركية ..(مطبوع

٩- رسائل إلى مبشر .. (غير مطبوع) .

١٠- سعيد النورسي لدى مفكري الغرب : مترجم عن الانجليزية ..(مطبوع) .

١١- ملامح الجيل المرتقب : مترجم عن التركية ..(غير مطبوع

١٢- القرآن المذهل : مترجم عن الانجليزية .. (مطبوع) .

الكتب الأدبية :

١- مسرحية : السلطان عبد الحميد : مترجمة عن التركية ..(غير مطبوع) .

٢- (الفرصة الأخيرة) : قصص قصيرة : مترجمة عن التركية ..(مطبوع) .

٣- (كيسان من الذهب) قصة للأطفال : مترجمة عن التركية ..(غير مطبوع) .

٤- ترانيم روح وأشجان قلب : مترجمة عن التركية ..(مطبوع) .

وفى تركيا ودّع العالم الاسلامي بمزيد من الاسى والحزن المفكر والكاتب الكبير أورخان محمد علي وهو من كبار رجالاتها في مجال الفكر والتأليف والترجمة والأدب .. وقد وافاه الأجل يوم الاثنين ٢٣ صفر ١٤٣١ هـ - الموافق ٨ شباط ٢٠١٠م في مدينة اسطنبول بتركيا عن عمر ناهز ٧٣ عاماً .

رحم الله تعالى الأستاذ الكبير والمفكر أورخان محمد علي .. وجعل أعماله في ميزان حسناته يوم القيامة .. وإنا لله وإنا اليه راجعون .. بتصرف من موقع هيئة علماء المسلمين في العراق .

***

رسالة إلى الحكومة (٢)

د. عمرو الليثى

تحـدثت فى الجـزء الأول عن رجل ذهب لزيارة قرية نائية ووجد أهلها يسبون المسئول عن شئونها فقرر زيارته فى منزله فشاهد رجل وشكله محترم ويقوم بمساعدة فلاح وتساعده زوجتـه .. وبعـد حديثـه مع الرجل الذى قام بمعالجة الناس وتقديم مشورته لهم ومساعدتهم، عرف أنه المسئول عن مراعاة شئون القرية شعر أنه سيصيبه الجنون، فلا يمكن أن يكون هذا الشخص سافلا فهو يشعر، وكأنه جالس مع اثنين من الملائكة، ولم يفهم لماذا يقول عنه أهل القرية هذا الكلام البذىء، وبعد خروجه من بيت المسئول عن القرية كان يضرب كفاً بكف، ولا يفهم شيئا، فمال عليه رجل آخر، وقال له إذا أردت أن تعـرف الحكاية اذهب لكبيـر القرية، وهو محام مثقف، وهو الذى سيقول لك سـر اللغـز، قـام الرجل الضيـف بالذهاب للمحامى وسأله هل المسئول عن القرية هو الذى يسرق القرية فأجابه المحامى أنه لا يمكن له أن يسرق فهو وزوجته من أغنى العائلات ثم إن القرية لا يوجد بها أى شىء يُسرق ..

فسأله هل التليفونات متعطلة بسبب الرجل المسـئول عن القـرية ؟.. فرد عليه المحامى قائلاً له : لا كل التليفونات كانت عطلانة ومن وقت تولى هذا الحقير لمنصبه تم إصلاحها واشتغلت كلها، فكاد الرجل أن يموت من الغيظ، وقال للمحامى المثقف : طالما أن أهل القرية يكرهونه ويرونه سافلا فلماذا لا تشتكوه للمسئولين فأخرج المحامى ملفا مليئا بآلاف الشكاوى ضده حتى يتم نقله، وللأسف سيستمر هذا السافل كاتماً على أنفاسنا، كاد الرجل الزائر أن يجن فقرر أن يسافر ويغادر هذه القرية فوجد المحامى واقفاً فى المحطة لتوديعه، وقال للمحامى أنا أريد أن أصارحك أنا سأسافر وسأترك القرية، ولن أعود لها .

ولكن بالله عليك أخبرنى ما هى حكاية هذا الرجل فأنا أريد أن أفهم فرد عليه المحامى بعدما نظر فى عينيه بتركيز وكأنه يشعر أنه توجد ثقة بينهما قبل ذلك، وقال له أنا فهمت أنا وأهل القرية من خلال تجاربنا مع الحكومة أنهم عندما يرسلون لنا موظفا عموميا كويس ونرتاح له وهو يرتاح لنا تقوم الحكومة بترحيله فوراً من القرية على الرغم من علمهم بأننا متمسكون به، وكلما وجدنا نشتكى من موظف ونكرهه أصروا على أن يحتفظوا به ولا ينقلوه، ولذلك اتفقنا كلنا على أننا نشتم هذا المسئول وننعته بأبشع الصفات ونعلن رفضنا له ونكتب فيه شكاوى حتى تعتقد الحكومة أننا لا نطيقه فيجعلوه فى منصبه حتى يمكث معنا لأطول فترة ممكنة، والحمد لله استطعنا أن نحافظ على بقائه بالقرية أربع سنين .. أربع سنين حياتنا تغيرت، أصبحت جميلة ونظيفة ومحترمة، وكل واحد منا شعر أنه إنسان، وأنه له قيمة وكلنا بنشتغل وكلنا بنحب قريتنا، ويا سلام لو يتركوه أربع سنين أخرى صدقنى قريتنا ستصبح جنة .. ركب صاحبنا الزائر القطار وأخذ يشاور من بعيد للمحامى، ويقول له إن شاء الله يستمر معكم وسأزوركم بعد أربع سنين وأجده معكم وتكون قريتكم أحسن وأجمل قرية .. حبيت أحكيلكم القصة دى لتكون درسا وعبرة لكل من لا يعتبر .

حلم !!

بقلم : على عبيد

منذ أكثر من عام مضى .. كنت أتصفح بعض الفيديوهات الموجودة على موقع يوتيوب .. وبينما كنت أتصفح تلك المشاهد وجدت لقطات عديدة لبرنامج "الكاميرا الخفية" الأجنبية .. ففى خلال فيديو واحد امتد لأكثر من ساعتين واحتوى على أكثر من ثمانين مقطعا من هذا البرنامج .. شرعت فى مشاهدة تلك المقاطع الكوميدية .

المقاطع كانت لطيفة جداً .. تميزت بالتنوع وتعدد فى الأفكارها دون ابتذال .. وعلى الرغم من أن تلك المقاطع استطاعت أن تؤدى مرادها من انتزاع الضحكات ، إلا أننى قد لاحظت بعض الدلالات المدهشة والمبهرة، والتى ربما لن يلاحظها أغلب المشاهدين حيث سينصب اهتمامهم على الجانب الكوميدى .. الذى هو الهدف المنشود من هذه الحلقات .. وإليكم هذه الملاحظات :

١- تم تصوير هذه الحلقات فى "كندا" (وجود علم كندا فى أكثر من موضع) .

٢-عدم تذمر المواطنين من مقالب الكاميرا .. بل تقبلوها بصدر رحب وسعادة بالغة .

٣- بساطة المجتمع فى مناحى الحياة كافة .. وبدت واضحة فى الملبس والسيارات وغيرها .

٤- الجدية التامة فى تصرفات المواطنين .

٥- رغم محاولة استفزاز الكاميرا لبعض المواطنين إلا أنهم تحلوا بالأدب التام .. ولم تصدر عنهم ألفاظ جارحة أو ردود أفعال مشينة .

٦- إقبال الناس على الحياة بتفاؤل شديد بلا هموم أو مشاكل .

٧- النظافة التامة، وقد بدت واضحة فى الأماكن العامة .

٨- عدم تواجد أى مظاهر للعنف .

٩- عدم تقبل المجتمع للجريمة .. فالسرقة أو الأعمال المخلة بالشرف ليس لها مكان .

١٠- عدم التعرض أو الاعتداء أو التجاوز لحقوق الغير .

١١- احترام شديد لرجال الشرطة وامتثال تام لتعليماتهم .

١٢- تجول المواطن فى أمن وأمان وطمأنينة تامة .

١٣- عدم تواجد أى مظاهر للفقر أو للثراء .. فالكل يبدو وكأنهم من الطبقة المتوسطة دون تمييز .

١٤- عجائز يمارسون حياتهم بشكل طبيعى .. يتمتعون بصحة جيدة .. وينعمون بمباهج الحـيـاة من تنزه فى الحـدائق أو تناول الطعـام والمشـروبات فى المطاعم أو الكافيتريات أو التسوق أو تأدية احتياجاتهم بأنفسهم .. بل إن المدهش حقا أن منهم من شاركوا بشكل أساسى فى البرنامج وأدوا أدواراً رئيسية تتطلب لياقة بدنية جيدة لصنع هذه الدعابات بمهارة عالية .

١٥- اللون الأخضر يكسو الحدائق والمنتزهات وشتى أرجاء المجتمع .

١٦- مجتمع بدا قويا متعافيا لا يعانى أمراضًا أو أوبئة .

هذه أجواء تدفع الإنسان إلى العمل والإنتاج .. والاعتزاز بالوطن وتقوى روح الانتماء له، فهل يأتى يوما نحيا حياة يسودها الود والبساطة ؟.. هل نكون جميعنا شريحة واحدة فى المجتمع ؟..

هل يعجز بلد به شريعة وحضارات عريقة فى تحقيق ذلك ؟..

كان العدل سائدا فى عهد عمر بن عبد العزيز .. فلم يكن هناك شقيا أو محروما ولم تستطع قدم الفقر أن تطأ بلاد المسلمين آنذاك .. وقد حدث أيضا فى عهد السلطان محمد الفاتح أن وضع أحد المسلمين زكاة ماله فى كيس وعلقه فى شجرة واضحة بالمدينة .. وكتب عليها "يا أخى لم أجد فقيرا لإعطاء زكاتى .. خذ الكيس هذا بلا حرج إذا كنت فى حاجة إليه" .

أرى أنه حلما .. وقد يبدو بعيد المنال .. لكن يظل الإنسان يحلم، ويأمل دائما فى تحقيق أحلامه .

ظلت هذه الانطباعات محفورة فى ذاكرتى .. إلى أن قرأت هذه المقالة للكاتب / أسامة غريب بجريدة "المصرى اليوم" ، والذى يحكى يوميات عاشها فى كندا .. وقد أكدت المقالة الملاحظات سالفة الذكر، بل وتطابقت معها تمامًا .. الأمر الذى دفعنى إلى كتابة هذه السطور .. وإليكم المقال الذى تفضل الكاتب بكتابته :

ياخفى الألطاف

فى السنوات التى قضيتها فى كندا كان ينتابنى إحساس غريب لم أشعر به من قبل .. كنت أشعر بأننى غنى من الناحية المادية مقارنة بغالبية أهل البلد، وكان هذا الشعور يدهشنى إذ إننى كنت مجرد موظف، ولم أكن مستثمراً أو رجل أعمال .. لقد تصورت أن يكون هذا الشعور طبيعياً لو أننى كنت أعيش فى أحد بلاد أفريقيا البائسة أو بلاد آسيا التعيسة، أما فى كندا الغنية العفية التى تمنح القروض والمعونات للدول الفقيرة فإن دهشتى كانت طبيعية .

بمرور الوقت زالت الدهشة بعد أن لمست أن الناس هناك يشكلون طبقة وسطى عريضة من محدودى الدخل الذين يجدون ما يكفيهم، لكن دون فوائض، وعرفت أيضاً أن الحاجة ليست ماسة فى هذا النوع من المجتمعات العادلة إلى الدخول فى مطحنة الحياة من أجل المال، ذلك أن الدولة تقدم الخدمات، وتوفر الاحتياجات الأساسية بالمجان، فالتعليم مجانى وكذلك العلاج، وأسعار مستلزمات الحياة كالمأكل والملبس والمواصلات رخيصة وفى قدرة الجميع، وهناك يستطيع أى مواطن أن يمتلك منزلاً، ثم يسدد ثمنه على أقساط مريحة تبعاً لدخله، ولو مات أحد المقترضين قبل السداد يسقط الدين فوراً عن الورثة.

لم يكونوا دولة اشتراكية من تلك التى توزع الفقر على الجميع بالتساوى، وإنما تركوا الحافز الفردى قائماً، وسبل المنافسة مفتوحة لمن يرغب فى حياة بها ترف زائد، وسلع استهلاكية أكثر!.. هكذا كان الناس يعيشون فى طمأنينة لا تجعلهم يحملون همّ تزويج البنت وتجهيزها، أو شراء شقة تمليك للولد أو ادخار قرشين للعلاج، أو لمفاجآت الحياة غير المتوقعة، ولعل هذا ما جعلنى أكتشف سذاجتى عندما تصورت نفسى أغنى منهم لمجرد أن راتبى أعلى من غالبيتهم، ونسيت انتمائى لوطن يُذل فيه الإنسان، وتُدهس كرامته لمجرد أن دخله محدود..

وطن يعج باللصوص من أصحاب الملايين، الذين يمتلكون كل شىء، بينما أى موظف شريف - مهما علا - لا يساوى بصلة، وحيث لا يملك الفقير ترف أن يمرض!

ومن المحزن أن الظلم الاجتماعى يجعل الناس فى حالة هوس خشية السقوط فى بئر الفقر، والغوص فى ظلماتها، وينطبق هذا على الطبقة الوسطى أكثر من انطباقه على الطبقات الدنيا، فهؤلاء لا يخشون على أنفسهم فقط، لكن خشيتهم على أبنائهم أكبر، ولعلهم بوعى أو دون وعى يتمثلون أحداث قصة "شىء فى صدرى" للكاتب المرحوم إحسان عبد القدوس، وهى نموذج كلاسيكى يوضح أن كل ما يبنيه المرء فى حياته واستثماره فى أولاده من خلال تعليمهم وتربيتهم.

كل هذا يمكن أن يضيع إذا مات الإنسان فجأة دون أن يترك لأبنائه مالاً.. فى كندا لا تحتاج أن تترك للأبناء مالاً، لكن فى مصر يمكن أن تحدث لهم كوارث إذا لم تفعل.. أبسطها أن يتمكن أعداؤك من الاستيلاء على زوجتك، والعبث بها نكاية فيك، ثم الحصول على ابنتك وافتراسها تعويضاً عن كل مباريات الشرف، التى فزت فيها عليهم أثناء حياتك.. فياخفى الألطاف نجنا مما نخاف!

***

بين وعد بلفور واتفاق أوسلو

عبد الستار قاسم

على مدى ٩٦ عاما والشعب الفلسطيني ومعه العرب والمسلمون يشتمون بلفور الإنكليزي وحكومته الاستعمارية البغيضة بسبب وعده الذي قطعه لليهود بإقامة وطن قومي لهم على أرض فلسطين .. بلفور لعين، وكذلك كل الحكومات البريطانية المتعاقبة، والتي تستمر بالتآمر على الشعب الفلسطيني ودفعه نحو مزيد من التنازلات لصالح الكيان الصهيوني. لم تتوقف بريطانيا عن الاعتداء على الشعب الفلسطيني والشعوب العربية عموما، وهي ما زالت الأفعى السامة التي تدس أنفها في كل صغيرة وكبيرة في المنطقة من أجل إبقاء العرب ضعفاء غير قادرين على مواجهة التحديات.

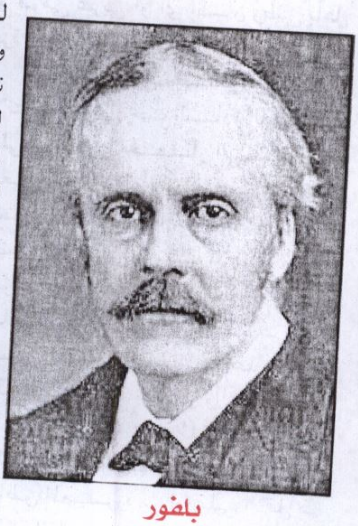

بلفور

لكن إذا قارنا بين وعد بلفور واتفاق أوسلو نجد أن قياداتنا أجرمت أيضا بحق الشعب الفلسطيني، وربما يكون جرمها أشد وطأة من جرم بلفور .. وفيما يلي بعض المقارنة :

١ - تحدث بلفور عن الإقرار بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية في فلسطين. واتفاق أوسلو في جوهره يعطي الفلسطينيين حق إدارة شئون الفلسطينيين في الضفة وغزة فقط، دون أن يعطيهم سيادة.

٢ - بلفور سمح بممارسة الحقوق الدينية، لكن أوسلو لم يأت على ذكر ذلك، وواجه الفلسطينيون صعوبات كبيرة في الوصول إلى المسجد الأقصى بعد

أوسلو. ويحاول اليهود الآن الاستيلاء على المسجد .

٣- لم يذكر اتفاق أوسلو شيئا عن احترام الأماكن المقدسة للمسلمين والمسيحيين .

٤- بلفور لم يجند الفلسطينيين ليكونوا وكلاء أمنيين لإسرائيل، أما أوسلو فأضاف إلى قوة إسرائيل حراسا جددا وهم الفلسطينيون .. حسب أوسلو، أصبح الفلسطيني حارسا على مملكة إسرائيل .

٥- لم يذكر بلفور التنسيق الإداري والقانوني بين الفلسطينيين والصهاينة، لكن أوسلو نص على هذا التنسيق .

٦- لم ينص بلفور على أن الأمن في فلسطين بيد الصهاينة، لكن أوسلو نص على أن الأمن الإجمالي في الأراضي المحتلة/٦٧ بيد إسرائيل .

٧- لم يطلب بلفور من الفلسطينيين الاعتراف بحق اليهود في فلسطين، لكن الفلسطينيين اعترفوا في أوسلو بإسرائيل ومنحوها الصبغة القانونية التي وقف العرب جميعا ضدها في فترة من الزمن .

٨- لم يخرج الشعب الفلسطيني محتفلا ب بلفور، لكن قيادة الشعب الفلسطيني طلبت من الشعب الاحتفال بالإنجازات التي حققتها، وهي الإنجازات المذكورة أعلاه .

فمن الذي يستحق اللعنة؟ يبدو أن بلفور مسكين مقارنة بقيادات الشعب الفلسطيني.

دعم المقاومة واجب مقدس

الحديث عن غزة التي يعاني شعبها الحصار المرير والذين يعيشون بدون كهرباء منذ أيام .. من المفهوم حصار إسرائيل لغزة، ومن المفهوم حصار العرب وبعض الفلسطينيين للقطاع إذ إن وجود المقاومة يشكل تحديا لهم يجب القضاء عليه. لكن ليس من المفهوم أن يتشفى مواطن عادي أو قومي عربي أو أي إنسان وطني بأهل غزة، وبفصائل المقاومة .

غزة هي الجزء الوحيد الحر من فلسطين الانتدابية، وهي تحت السيادة الفلسطينية على الرغم من الحصار الشديد الذي تتعرض له، ولو لم تكن غزة حرة لما وقعت تحت الحصار، ولبقيت محل تدليع كما هي الضفة الغربية، ولأتتها الأموال من كل صوب، ولفُتحت أبواب كثيرة أمام شعبنا الفلسطيني في غزة .. وغزة هي رأس الجسر الفلسطيني الذي بني على الأرض الفلسطينية بالدم والعرق والتضحيات الجسام، ومنه يمكن للفلسطينيين أن ينطلقوا في مواجهة إسرائيل لتوسيع المناطق المحررة .. أو على الأقل هي القطعة الفلسطينية التي يمكن أن نبني من عليها قدراتنا العسكرية والتقنية والأمنية لنكون أكثر قدرة وفاعلية في مواجهة إسرائيل .. كثيرون هم الذين ينادون بالمقاومة ضد العدو، لكنهم لا يقدمون

دعما للمقاومة، وعلى العكس يستمرون في دعم سياسات ضد المقاومة .

هناك من يقول إنه مع الحصار على غزة من أجل القضاء على حماس .. لكن علينا التمييز بين الأحقاد الفصائلية وبين الالتزام الوطني .. هناك أخطاء لحماس، ومن المفروض العمل على إصلاحها، لكن السؤال الذي يحظى بالأولوية يتعلق بقدرة حماس كحركة مقاومة .. هناك من يدعي أن حماس لم تعد حركة مقاومة، وهي تعمل على مقاومة المقاومة .. هذا غير صحيح وتطورات الأحداث تثبت عدم صحته .. حماس تعمل ليل نهار، وهي تستعد وتعد وتبني، ورجالها لا يهدءون وهم يحضرون البنية التحتية التي تمكنهم من الصمود والتصدي للعدوان .. أحيانا كانت حماس تمنع إطلاق الصواريخ على إسرائيل وذلك لأسباب تكتيكية ظرفية وليس بهدف منع المقاومة .. فصائل المقاومة المختلفة تعمل على تهريب السلاح والتدريب والتنظيم والإعداد والتصنيع دون اعتراض من حماس، ولا يمكن مقارنة حماس بالسلطة الفلسطينية التي تمنع كل نشاط يتعلق بالمقاومة والاستعداد لمواجهة العدو .

عدم الرضا عن حماس يجب ألا يمتد لمقاومة المقاومة .. حماس ليست مقدسة لكن المقاومة مقدسة، والأيدي التي تحرس والأصابع التي تلامس الزناد مقدسة، ونحن واجبنا على طول الوطن العربي وعرضه أن ندعم المقاومة سواء كان عنوانها حماس أو الجهاد الإسلامي أو لجان المقاومة الشعبية أو حزب الله أو أي جهة أخرى تريد مقارعة الاحتلال الصهيوني .. هناك من لهم مواقف من حماس لكن هذا يجب ألا ينسحب على المقاومة أو على حماس كحركة مقاومة، وهناك من يعارض الأحزاب الإسلامية، لكن المقاومة الإسلامية تبقى مقدسة ويجب مساندتها .. وإذا كانت مصر حريصة على البعد القومي فإن وقف تدمير الأنفاق ورفع الحصار وتقديم الدعم لفصائل المقاومة الفلسطينية في غزةيبقى واجبا قوميا تحتمه الأخلاق القومية .. لا يمكن لقومي أن يعادي مقاومة تواجه الاحتلال، ولا الأخلاق العربية تسمح بذلك. فلا ضرورة للشطط بالشعارات، وتقديم الدعم للاحتلال الصهيوني من خلال الضغط على المقاومة الفلسطينية .

وكما هو مطلوب عموما من العرب دعم حماس وكل فصائل المقاومة، ودعم أهل غزة، يتوجب على حزب الله وإيران وسوريا عدم وقف دعم المقاومة بكافة فصائلها .. حماس قوية يعني أن المقاومة بوضع أفضل، وفصائل المقاومة قوية يعني أن الوضع العربي عموما أفضل، وعندما يهب الجميع لمساعدة غزة فإن غزة لن تبخل بتضحياتها على الجميع .. أي أن الخلاف السياسي يجب ألا يزحف على المبدأ القائل بضرورة دعم المقاومة .

حمامات النساء ومصيبة الفساد

لم يكن غريبا سماع أنباء عن مسئول ينشر آلات التصوير في حمامات النساء، فنحن نخضع لأناس لا يعرفون الله، ولا يعرفون القيم الإنسانية ولا تردعهم قيم أخلاقية. هكذا خبرناهم على مدى السنوات الطويلة، وهم الذين يتبجحون في كثير من الأحيان بشعارات وطنية، ويعدون الشعب بالخير والدولة المستقلة وعاصمتها القدس الشريف، وعودة اللاجئين والهناء والسعادة الأبدية .. لعن الله الوطنية التي يمكن أن تصف أعمالهم أو تؤشر إلى أخلاقهم .. وإذا كان هؤلاء الفاسدون المفسدون سيقيمون دولة لنا فالأفضل أن نبقى بدون دولة، والأفضل أن يبقى الاحتلال. هؤلاء هم الصديق الجاهل، وذوو القربى المنحطون والأسافل الذين لا تأتي من قبلهم سوى الشتائم والسباب .

هل كان من الممكن أن يخطر على بال إبليس أن ينشر آلات تصوير في حمامات النساء؟ تقديري أن إبليس أرقى من ذلك بكثير، وإن أراد النظر إلى النساء، فإنه سينظر إليهن وهن في ملابسهن الجميلة، وهيئاتهن الجيدة. أما هذا العمل الخسيس فلا يقبل عليه إلا بشر سافل ومنحط .

آلات التصوير هذه ليست جديدة على ثقافة السلطة وأركانها، بل هي قائمة وتستعمل ضد الناس .. وقد سبق أن حاولوا نصب فخ لي لإيقاعي وإسكات قلمي بعد ذلك .. هم لم يكتفوا بإطلاق النار علي وزجي بالمعتقلات وحرق سيارتي عدة مرات، بل أرسلوا لي يوما فتاة تتغنج وتعبر لي عن إعجابها، ودعتني لحضور حفلة عيد ميلاد في البيرة، ووصفتني مكانا علمت فيما بعد أنه مركز أمني تابع للسلطة الفلسطينية. توهم رئيس جهاز أمني في حينه أنني سأتدحرج كما يحصل معه، فبلغ عرفات أن عبد الستار قاسم قد وقع في الفخ .. لقد صدقه رئيسه، لكنني في ذلك اليوم ذهبت إلى طولكرم حتى لا يخطر ببالي الذهاب إلى البيرة، وأنا كنت على وعي بأن الفتاة، والتي ما زلت أذكر اسمها ل. ص. مضروبة أمنيا .. وقد صرح بعد ذلك أحد القائمين على الفخ أن عبد الستار قاسم قد فلت من آلات التصوير التي جهزناها له لأنه لم يحضر .. مشكلتهم أنهم قاسوا كل الناس وفق مقاييسهم الأخلاقية .

نحن نسمع يوميا عن أعمال فساد مشينة، وعن أعمال شريرة كثيرة تقترف ضد أبناء شعبنا، وقصص السلطة وأركانها المخزية لا تنتهي ولا يتوقف تنوعها وإبداعاتها. هؤلاء امتهنوا الفساد حتى باتت القضية الفلسطينية ألعوبة للتلهي والإثراء والمجون وخدمة الصهاينة .

من يتحمل المسئولية ؟ نحن شعب فلسطين نتحمل المسئولية .. نحن لم نثر منذ البدء على ممارسات الفساد، بل

وشاركناهم فيها رغبة في تحقيق مصالح شخصية ولو على حساب فلسطين وأهل فلسطين. نحن سكتنا بداية، بل وسرنا في طرق الوساطات والمحسوبيات والرشوات والإكراميات من أجل الحصول على وظيفة أو على أشياء لا حق لنا بها. كل واحد منا فكر بحل مشاكله وطموحاته الشخصية بمفرده بمعزل عن الصالح العام. وبقينا على هذه الحال حتى وصلت آلات تصويرهم إلى أعراض بناتنا ونسائنا .

هذه ثقافة ثورية فلسطينية موجودة منذ زمن بعيد وقبل قيام السلطة الفلسطينية .. لقد مارسناها في لبنان وفي الكويت وتونس، وكرهتنا شعوب عربية بسبب هذه الأخلاقيات الفاسدة .. فهل آن الأوان لنا لنتحرك دفاعا عن شرفنا وكرامتنا، وعن قضيتنا التي يتحكم بمصيرها هؤلاء الثوار؟

لا يظنن أحد أن إجراءات صارمة ستتخذ يوما ضد الفاسدين. ربما يعاقب شخص بشدة على فساده بسبب ضعفه، أو لأنه مسكين سرق ١٠٠ شيكل، لكن حيتان الفساد لن يعاقبهم أحد سوى الشعب .. السبب أن الناس في القمة فاسدون، وكل واحد منهم متورط، وإذا كان لأحدهم أن يُسأل أو يعاقب فإنه سيفضحهم. ولهذا يعملون دائما على طمطمة الأمور، وإخفاء الأسماء. الفاسد لا يحاسب فاسدا. الفاسد يحاسب الصالح لأنه يكشف عورات الفاسدين من خلال أمانته .. ولهذا لا مكان للأمناء في بلادنا، والأمكنة فقط للفاسدين والمرتشين والزعران والجهال، وأصحاب الوساطات والمحسوبيات .

هذه البلاد ضحية مثقفيها ومفكريها وأكاديمييها ورجال دينها الذين يرون الباطل ولا يقارعونه .. حيثما تذهب، وحيثما تجلس، تسمع هؤلاء يتذمرون لكنهم لا يرفعون أصواتهم في مواجهة الفساد والتطاول على الناس وحقوقهم، والتطاول على القضية الفلسطينية .. هؤلاء آثروا الصمت حرصا على مصالحهم وخوفا من عقاب السلطة .. لقد وضعوا ضمائرهم في الثلاجات، ويريدون في نفس الوقت من أبناء الفقراء الاستمرار في تقديم التضحيات .. هناك مسؤولية يتخلف عنها هؤلاء الناس، وخاب من تخلف عن حمل الأمانة وغرق في النهاية في الذل والهزائم والتمرغ في الأوحال .

هل أصحاب السلطة سيعقلون يوما؟

لا. الذي يعترف بإسرائيل وينسق معها يهون عليه وضع آلات التصوير في حمامات النساء .. إذا كان قد تنازل عن وطن، وهانت عليه المقدسات والأرض الطيبة، فهل يمكن أن يتعفف أمام النساء؟ هؤلاء وجدوا في مواقعهم لتخريب المجتمع الفلسطيني .. ولو كانت إسرائيل تظن أن هؤلاء سيكونون عناصر بناء لما سمحت لهم بالبقاء .

***

رجال الله

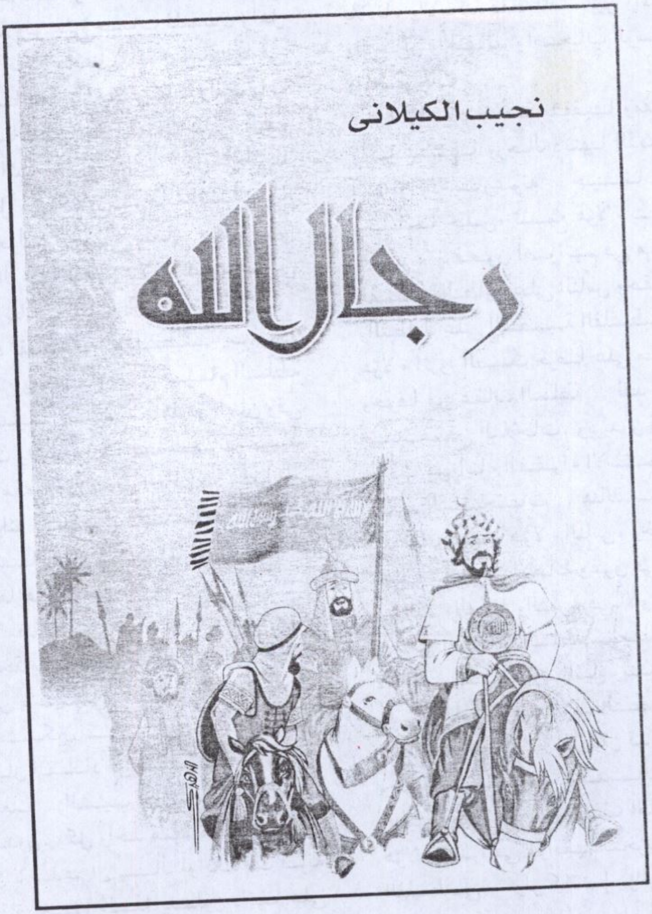

بقلم: د. نجيب الكيلانى

رجل فى المنفى

بقلم : د. نجيب الكيلانى

الشام كلها تتحدث عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ، طويل، ناحل العود، أسمر الجبهة، متواضع جسور، يرفع يده عاليا يصنيح بمعاوية بن أبى سفيان ومن حوله من عظماء وقواد وأغنياء، أن يكفوا عن البذخ والهرج، وهاتوا فضول أموالكم وأعطوها للفقراء، ولا تكنزوا المال، أو تلجئوا إلى الاحتكار، فهو حقد وأنانية، ومدعاة لتحطيم أواصر المحبة، وفصم رباط المجتمع .. وإثارة الشحناء بين الناس .

ولا يكتفى بذلك، بل يقضى وقته فى المسجد عابداً ضارعًا إلى الله، وليس على جسده سوى حلة واحدة بالية، يغسلها ثم يلبسها، ويظل قابعًا فى بيته فى حجرة منعزلة خافتة الضوء حتى تجف ؛ وفى المسجد - كل بوم - يحوطه جمع كبير من الناس .. ولا يفتأ يصرخ بهم فى إصرار وعناد : أيها الفقراء .. علمنى حبيبى رسول الله أن أقول الحق، ولو كان مراً .. أيها الفقراء .. إن لكم حقا فى أموال الأغنياء، أجل حق وليس تفضلاً وتصدقاً منهم .. ايها الفقراء .. إن لكم حقًا فى أموال الخليفة .. وفى أموال أميركم معاوية بن أبى سفيان .. أموال الدولة هى أموالكم، ما جمعها الحكام إلا من أجل رفاهيتكم لتعيشوا حياة هانئة سعيدة .. حياة تستحقونها كبشر .

ويتمتم رجلان فى آخر المسجد :

- إن أبا ذر يطلق أحكاما خطرة، ويثير الناس ويحرضهم على معاوية .

ويرد زميله قائلا :

- يا له من رجل ! إنه يؤمن بجماهير الناس وحقها المقدس فى الحياة .

- وما ظنك يا أخا الإسلام برجل أسلم على يدى رسول الله وعاش معه رَدْحًا طويلا من الزمن .. وشرب من نبعه الربانى الصافى .. وكان إلى جواره فى أغلب الغزوات .

فيرد صديقه :

- صدقت يا أخى .. حقيقة نحن نحب هذا الرجل .. نحس أنه منا .. بل أقرب إلى نفوسنا من معاوية .. بل من الخليفة عثمان بن عفان نفسه . لكنى أشفق عليه.

- ماذا تعنى ؟..

- لقد أثار ضجة حول عثمان وتصرفاته فى المدينة .. فنفاه إلى هنا .. فأتى إلى هنا حاملاً رسالته، يحارب جشع الأغنياء .. ويريد أن ينتزع حقا من بين براثن الأمراء .. ويحرضنا نحن الفقراء على أن نطلب حقنا ولو بحد السيف .. وما أظن أن الحال سوف تمضى على هذا المنوال .. أن معاوية يترك الحبل على الغارب لأبى ذر الغفارى .

وما إن انتهى الرجلان من حديثهما الجانبى حتى كان أبو ذر الغفارى هو الآخر يجفف عرقه، ويستجم بضع لحظات .. بعد الخطبة النارية التى أحرق بها أوهام أصحاب المال المكنوز .. وهيج بها فى نفس الوقت مشاعر الجماهير الفقيرة النائمة عن حقها .. وهدأت ثائرة أبى ذر قليلاً .

وعاد إليه شئ من سكونه، وهدوء نفسه، بينما أخذ الناس ينفضون عن المسجد، وصدى كلماته القوية الشجاعة يرن فى آذانهم ويتردد فى أذهانهم .. فيزيل الغشاوة عن عيونهم، ويحسم لهم حقوقهم الضائعة المهدرة .

وانطلق أبو ذر فى أعقاب الخارجين من المسجد، عازفًا على الذهاب إلى بيته حيث تنام ابنته العليلة، وزوجته الطيبة الصامتة .. وعادت إلى ذهنه وهو يضرب الأرض بقدميه النحيلتين ذكرى فتاته البائسة، وهى ترقد على حصير بال شاحبة الوجه .. غائرة العينين .. وشعرها الأسود الفاحم ينسدل فوق جبينها الباهت فى براءة تثير الألم والإشفاق .. ومن آن لآخر ينتابها السعال، فتظل تسعل وتسعل حتى تحتقن عيناها .. وتنفرط منهما الدموع .. وتمد يديها المعروقتين الهزيلتين فى ضراعة وابتهال، وتصيح فى خوف ورعب.. أبتاه.

وعندئذ اغرورقت عيناه بالدموع .. وفاضت نفسه بالحزن والأسى، لكنه أسرع فمسح دمعة أفلتت من بين أهدابه، وعز عليه أنه ترك ابنته المريضة وخرج .. لماذا لم يبق إلى جوارها ؟.. لكنه استعاذ بالله من الشيطان الرجيم، وما يجدى بقاؤه إلى جوارها ؟.. إذا أراد الله شفاءها فسوف تشفى، وإذا كان الأمر غير ذلك، فالمشيئة مشيئة الله، إن شاء أعطى، وإن شاء أخذ، ولم يدر أبو ذر لماذا اقترنت فى ذهنه صورة المرض العضال الذى يهد قوى ابنته، وصورة الجشع الذى يتسم به الأغنياء، فيملأ نفوس الناس عللاً وأحقاداً شتى .. كلها أمراض سواء ما ينخر فى جسد ابنته أو ينخر فى جسد أمته ..

وفكر أبو ذر "لاشك أن ابنتى عزيزة على .. ومرضها شئ قاس مؤلم يملؤنى أسى ولوعة، وكان يجب أن أبقى إلى جوارها ، لكنى فى الوقت نفسه يجب أن أسعى إلى المسجد.. إلى الله .. وإلى من فى المسجد إلى الناس، إنهم ينتظروننى دائما ، كى أفتح عيونهم على الحقيقة، وأشير بأصبعى إلى حقهم فى الحياة الحرة

الكريمة .. إنهم أبنائى هم الآخرون .. وهم أيضا مرضى مثل ابنتى".

ودلف أبو ذر إلى زقاق ضيق .. ورأسه مزدحمة بصورة وجوه كثيرة عديدة تحملق فيه .. وجوه الذين كانوا يكتظون بالمسجد، ووسط هذه الوجوه الكثيرة وجه ابنته الشاحب الهزيل وعيناها الدامعتان، وعبر الزقاق كانت تنبعث رائحة الحياة والناس قوية ثائرة، فالزقاق ممتلئ بالأحياء .. والأطفال الصغار يجرون هنا وهناك حفاة الأقدام، شبه عراة، يثيرون ضجة عالية، وأصواتهم الرفيعة تشبه إلى حد كبير مواء القطط وهى تعبث وتتشاكس، والبيوت واطئة متلاصقة متكدسة، وعلى الأبواب وفى الحظائر القريبة أناخت الأبل ولعض الأغنام والماعز.

أين ذلك كله من قصور العظماء التى تشمخ خارج المدينة فى الهواء الطلق المنعش، تحوطها الحدائق الغناء، والبساتين التى يفوح شذاها عبقرى الأريج، حلو النسمات، يعمرها أقوام يأكلون كثيراً ويشربون كثيراً .. وورثوا نعيم الرومان ومراتعهم، وتشبهوا بمجدهم وأبهتهم، واستناموا لدفء الحياة وجمالها وانبساطها؟..

وبلغ أبو ذر بيته القمئ، كان السكون يوحشه بوشاح ضاف، والليل يضمه إلى صدره فى حنان وألم، ونقر على الباب نقرات خفيفة، فسمع صوت زوجته ينبعث كسيراً حزيناً:

– ادخل

فدفع الباب دفعة رقيقة، ثم دلف إلى الداخل، وانبعث من كوة فى الحائط المقابل ضوء واهن من مصباح زيتى مرتجف اللهب، الصالة ليست فسيحة، لا يفرشها إلا الحصى، وإلى بعيد إناء به ماء يبلل ما حوله من حصى، وشاة عجفاء تمضغ الصمت والفراغ والليل الطويل ليس فى فمها شئ، اقتناها ليشرب منها اللبن.

وبلغ الحجرة التى تنام فيها ابنته المريضة..

كانت امرأته كابية حزينة، قد جلست القرفصاء، مسندة ذقنها إلى قبضة يمناها المرتكزة فوق ركبتها .. وعيناها الساهرتان المحاطتان بهالة زرقاء تتركزان على وجه ابنتها الشاحب المغمض العينين:

– هل جاء أبى ؟..

قالتها الفتاة المريضة وهى تحاول جاهدة أن تفتح عينيها، بينما قال أبوها فى نبرة حنان صادق:

– أجل .. جئت يا حبيبتى ..

– أهكذا تتركنى يا أبى ؟.. لقد كنت أبكى من أجلك ..

– أنا ما تركتك يا حبيبتى .. كنت فى بالى دائما .. أردت أن أودى الصلاة، وأسمع المصلين الدرس اليوم .. ثم لأدعو لك الله كى يمن عليك بالشفاء .. لا تجهدى نفسك بالكلام والبكاء يا ابنتى حتى لا تنتابك موجة السعال ..

– آه .. يا أبى أحس أنى أموت ..

السعال ترعش جسدها الضامر وتهز عودها النحيف هزاً عنيفا لا رحمة فيه ولا هوادة .. وهمت أن تنفرط من عينيه الدموع لكنه كعادته لم يسمح لها أن تنهمر .. كان قويًا عند الشدة .. صامداً إذا ما هبت النكباء .. شامخًا جياراً أمام التحريض والإغراء .. ساخراً زاهداً إذا ما لوحت له الدنيا بالمادة .. المادة الفانية التى لا تعرف الخلود .

وأدرك معاوية ما يعانيه أبو ذر من شرود واضطراب وتفكير .. وابتسم معاوية وقال فى رقة دون أن يدرى تمامًا ماذا يعتمل فى داخل رأس ضيفه .

– تفضل .. الطعام جاهز .

وامتلأت نفس أبى ذر حنقًا .. ماذا يريد معاوية بذلك ؟.. أهو مجرد الواجب الذى يؤديه المضيف لضيفه، أم هو تقدير لشخصى فى صورة ذلك الطعام الدسم الهش، أم رشوة .. يريد أن يسد لها فمى، ويلوح لى بالنعيم المقبل إذا أنا امتثلت لأوامره وكففت عن مهاجمة نظامه المالى الفاسد .. وسوء توزيع الثروة بين جماهير الأمة ؟..

وكظم أبو ذر غيظه، وكبت انفعالاته التى تريد أن تنطلق فى تمرد وثورة، وقال فى نبرات مرتعشة يحاول جاهداً أن يجعلها طبيعيًا لا أثر للانفعال أو التوتر فيها .

أكلت وحمدت الله .. وما بى من جوع ولا ظمأ الآن ..

– لكن هذا الطعام من أجلك يا أبا ذر .. وليس من اللائق أن ترد ضيافة أمير المؤمنين وتخاصم طعامه ..

– ربما تكون محقًا فيما تقول .. لكنى أوقن أن آلافا غيرى فى حاجة إلى كسرة خبز تسد جوعتهم، أحس وأنا أكل هذا الطعام كأنى أسرقه منهم ..

وتغيرت سحنة معاوية، وبان فى عينيه شئ من العتاب والضيق، لكنه أردف قائلا:

– ماذا تقصد يا أ با ذر ؟..

فرد عليه فى لهجة صريحة واضحة :

– طعامى كل جمعة صاع من الشعير على عهد رسول الله ﷺ، والله لا أزيد عليه شيئا حتى ألقاه ..

– لكن يا أبا ذر أنت تعلم أن الله لم يحرم علينا الطيبات من الرزق ..

وفكر أبو ذر فيما قاله معاوية، إنه حق لاشك .. لكن التفاوت الشنيع بين أقوام لا يجدون شيئا .. وأقوام يجدون كل شئ من مأكل وملبس ومشرب .. إنه أمر مزعج لاشك، فيه كثير من أنانية، وفيه ظلم صارخ لاشك فيه .. وقال أبو ذر :

لقد تغيرتم كثيراً يا معاوية .. تنخلون الشعير .. وتخبزون المرقق، وتجمعون إدامين .. واختلفت عليكم ألوان الطعام .. وغدا أحدكم فى ثوب .. وراح فى ثوب آخر .. ولم تكونوا هكذا فى عهد رسول الله ﷺ .

فقال معاوية وقد نفذ صبره :

- لقد انقضى ذلك العهد يا أبا ذر، ونحن هنا فى بلد الأعاجم، فإن لم تظهر أمامهم بالمظهر اللائق استخفوا بنا ..

فابتسم ابو ذر فى مرارة وقال :

- هذه مظاهر جـوفـاء .. ورأى لا أرتأيه .. انظر كيف فتحنا هذه الديار .. وملكنا دنيا القياصرة والأكاسرة .. لم نصل إلى ذلك بالمظاهر التى تتحدث عنها من حيث الطعام والشراب .. ونتبلغ بثمرات أو لقيمات .. نحمل فى كفة كتاب الله وسنة رسوله .. وفى الكفة الآخرى سيفًا .. نحطم به عروش الظالمين .. ونعيد إلى الأمم المهضومة المظلومة حقها فى الحياة الحرة الشريفة .. وفى لقمة العيش .. وحرية العقيدة .. لقد حولنا البشرية الضالة إلى آدميين شرفاء كرماء .

الطعام لم يزل متراصًا على الخوان، ورائحته النفاذة قد نامـا أو كادت .. وألوانه الزاهية الجذابة قد انطفأت .. وخيل إليهما أن ما أمامهما ليس طعامًا وإنما سمًا زعافًا .. وقطع معاوية الصمت حينما قال :

- يا أبا ذر .. لم تزل كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، والرسول ذلك الإشعاع الربانى المضيء دائما الهادى إلى طريق الحق والنور والمعرفة .. هذه حقيقة يجب أن أؤكدها، لكن لكل منا فهمه الخاص، ونظرته الخاصة إلى الأمور .. غير أن الذى يزعجنا حقيقة يا أبا ذر هو أنك تؤلب الفقراء، حتى ضج الأغنياء، وشكوا أمرك إلينا .. لأنك تهدد مصالحهم بالبوار والخراب ..

فسارع أبو ذر قائلا :

- إنى أنهاهم عن الكنز ..

- ولم ؟..

- لقوله تعالى : ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم﴾ .. فإنى ألشرهم بعذاب أليم ..

- إن هذه الآية نزلت فى أهل الكتاب.

- بل نزلت فينا وفيهم ..

فقال معاوية فى شدة وصرامة :

إنى أمرك أن تكف ..

فرد أبو ذر وهو أشد ما يكون صرامة وعنفًا :

- والله لأستمرن على دعوة الناس إلى الزهد .. وعلى تحذيرهم من الكنز .. ولأبشرن الكانزين بعذاب النار ..

فعاد معاوية إلى الرقة واللطف قائلا :

خير لك أن تنتهى عما أنت فيه ..

- والله لا أنتهى حتى توزع الأموال على الناس كافة ..

فقال معاوية مهددا :

- يا أبا ذر .. هذا فراق بينى وبينك .. فحاذر ..

فقال أبو ذر وهم يهم بالوقوف :

(قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) يزعم قوم ويقولون "إن المال مالنا .. الفئ فينا، فمن شئنا أعطيناه .. ومن شئنا منعناه" كلا .. إنما المال مالنا، والفئ

فيئنا، فمن حال بيننا وبينه حاكمناه إلى الله بسيوفنا .

كلمات قوية رنانة، اهتزت لها جنبات المكان، وزلزلت أمن معاوية، حتى خُيل إليه أن هذه الصيحات القوية إذا ما خرجت من أروقة قصره إلى الشارع، وتلقفتها أسماع الناس، وترددت على ألسنتهم، فسوف تندلع ثورة .. ثورة الجياع والفقراء الذين يؤمنون أن لهم حقا عند معاوية، وعند الأغنياء، وإذا لم يعد لهم هذا الحق حاكموهم إلى الله بسيوفهم .. والسيف حكم خطر رهيب .. لا تؤمن معه العاقبة .. ولا تُحمد النتائج .

ونادى معاوية الخدم :

- ارفعوا هذا الخوان .. ما بى رغبة فى طعام ..

***

كان معاوية لا ينكر بينه وبين نفسه أن أبا ذر رجل طاهر الذيل، نقى السريرة .. أبيض الصفحة، لكن وسيلته جافة .. مزعجة .. يقول الكلمة على ملأ من الناس .. ويحلم بمثاليات مغرقة فى الخيال .. لا يمكن تحقيقها على نحو ما يرى .. ولا بالسرعة التى يتمناها .. وأبو ذر يريد أن يفرض زهده الفردى، ومثالياته الحالمة على عامة الناس .. فى مجتمع يريد أن يبنى كل فرد فيه مجده .. وينال أقصى ما يستطيع من نجاح بالطرق المشروعة .

إنها معركة كبرى لا تقل ضخامة عن المعركة التى قادها محمد ﷺ ضد قوى الجاهلية والشرك والتقاليد الخاطئة المتأصلة فى المجتمعات التى أعاد الإسلام بناءها .. معاوية لا يرى هذا الرأى ولا يقره .. فكيف تستقيم الأحوال وسط هذا الصراع ؟.. وتنتظم الأمور فى ذلك الجو المشحون بالتحريض والثورة والقلق .

وأحضر معاوية دواة وقرطاسا وقلمًا، وجلس يسطر لأمير المؤمنين عثمان بن عفان رسالة موجزة أودعها كل ما يريد أن يقول :

- أما بعد .. فإن أبا ذر تجتمع إليه الجموع .. وقد ضيق علىّ .. وأعضل بى .. ولا آمن أن يفسدهم عليك .. فإن كان لك فى القوم حاجة فاحمله ..

لن يكون الأمر سهلا .. فعثمان قد نفى أبا ذر من قبل إلى الشام .. وها هو معاوية حاكم الشام يضيق به ذرعًا ويريد أن يعود أبو ذر من حيث أتى .. فهل يستدعيه عثمان مرة أخرى .. ويتصدى هو لصيحات أبى ذر من أجل الفقراء، ويتلقى هجماته، ويتحمل مضايقاته .. حتى يدع الشام ومعاوية فى دعة وسلام .. قبل أن تنبت بذور الثورة والتمرد ضد معاوية ؟..

***

أما أبو ذر فقد خرج من مسكن معاوية .. وأثار الثورة العارمة التى اجتاحت كيانه، تلهب فؤاده .. وترعش جسده وخطواته المسرعة التى تطأ الصمت والظلام اللذين يغرقان المدينة النائمة .

وبلغ أبو ذر الزقاق الذى ينزوى فيه بيته، وخفق قلبه خفقات سريعة متلاحقة وهو يدنو من الباب .. ودلف إلى باحة البيت الصغير، وقصد من فوره إلى الحجرة الضيقة التى ترقد فيها ابنته العليلة، ووقع بصره عليها ترقد ساكنة لا حركة ولا نفس، وقابلته أمها بالشهقات والدموع، من بين شهقاتها ودموعها انبعث صوتها الواله الحزين :

- ماتت .. ماتت

كانت الفتاة مُسجاة .. وكلب يعوى من بعيد عواء كالأنين .. والشاة العجفاء تمضغ السكون والليل .. لا شئ فى فمها .. وضوضاء صاخبة فى رأس أبى ذر الدامع، وشئ غامض يقطع فى قلبه .. فى روحه الشفافة بسكين لا تبين، وهم أن يتكلم لكنه لا يستطيع فقد غص صوته بالدمع .. الفتاة مُسجاة .. وحزن عميق يلف الدار الكابية .. وتمتم أبو ذر أخيرا .. إنا لله وإنا إليه راجعون .. صدق رسول الله ﷺ .. إنما يولدون للموت .. ويعمرون للخراب .

ونامت العيون .. وبقيت عين أبى ذر وزوجته يذرفان الدموع وأيديهما ترتفعان إلى السماء فى ضراعة وابتهال .

***

ولم يكد يمر وقت طويل حتى جاء ردُ عثمان بن عفان على رسالة معاوية .. وفيها يقول :

- ... جهز أبا ذر إلىّ .. وابعث معه دليلاً .. وزوده وارفق به .. وكفكف الناس ونفسك ما استطعت ..

***

وفى قافلة صغيرة تنحدر نحو الجنوب، كان أبو ذر فى طريقه إلى المدينة ليبدأ جولة جديدة .. وفى ذهنه كلمة الرسول عليه السلام له ذات يوم :

يا أبا ذر .. إنك رجل صالح .. وسيصيبك بلاء بعدى ..

- فيسأله أبو ذر :

- أفى الله يا رسول الله ؟..

فيجيبه الرسول ﷺ :

- فى الله ...

فيرد أبو ذر :

إذن مرحبا بأمر الله ..

وكانت هذه الذكريات الحلوة مع الرسول ﷺ برداً وسلامًا على قلبه، وزاداً أى زاد فى رحلته القاسية إلى المدينة .. وصراعه الرهيب الخالد ضد الفقر الجشع ومأساة الإنسان .

د. فهمى الشناوى

النهب الإمبريالى للعالم الإسلامى

يشمل العالم الإسلامى ألف وثلاث مائة مليون نسمة تمتد على ثلث الكرة الأرضية ، وهذا الثلث هو الثلث الأهم والأهم كثيرا عن باقى الأرض .

ويلاحظ أن الإسلام يعتبر نفسه عالم فكر وليس عالم حدود ، فهو يعتبر أن الأرض ذاتها هى أرض الله وليست أرض أفراد أو أمم وأنه مُستخلف فى هذه الأرض لخدمة الله وعبادته وإنفاذ مبادئه وأوامره ونواهيه وهى فكرة كما ترى مختلفة تماما عن فكر الغرب والشرق المعاصرين ، وحيثما تكون كلمة الله مُطبقة نعتبرها دار إسلام ، وخارج هذا النطاق دار حرب ، وما بين التعريفين دار الإسلام ودار الحرب لايكون تفاوض ولكن يكون جهاد حتى تصبح دار الحرب جزءا من دار الإسلام فجوهر السياسة الدولية فى الإسلام هو الجهاد ، فإذا دفع الآخرون الجزية وهم صاغرون أو سمحوا للإسلام بالدخول بلا حرب كان بها ، وإلا فالجهاد .

ولكن حتى بالمفهوم اللا إسلامى بمعنى أن يكون العالم الإسلامى حدوداً جغرافية محددة أو بالأصح بسبب هذا المفهوم صار العالم الإسلامى اليوم عبارة عن كيانات متعددة ووحدة غائية ، وأصبح عالمه مطوقا بالصليبية والصهيونية بل أصبحت السيطرة الغربية على دار الإسلام سيطرة لا مثيل لها فى التاريخ السابق كله لا فى دولة اليونان ولا دولة الرومان ولا غيرها وأصبح للغرب مأمور معين هنا وهناك ، وحتى بين هؤلاء المآمير يدير الغرب عداوة مستمرة حتى لا يحدث بينهم أى تقارب ينتقص من نفوذ الغرب .

ولم يكتف الغرب بذلك ، ولكنه وصل إلى الفرد المسلم بحركة تبشير نشطة فى مختلف بقاع العالم حتى ليقدر البعض أن ٢٠٠ مليون مسلم قد تبشروا ... فى الوقت الذى يذيعون فيه ستارة دخان تقول إن الإسلام ينتشر حتى يركن المسلمون إلى التوكل .

والأدهى من تبشير الأفراد العاديين هو تبشير الحكام والقادة والصفوة سياسيا سواء باتباع سياسة غربية لا إسلامية أو ضد إسلامية أو بواسطة الاستعمار الثقافى للكتاب والفنانين ووسائل الإعلام أو بتكليف بعض كتابنا ومفكرينا بدور تبشيرى متستر وراء اللغة أو الأدب أو القومية ، حتى أصبح الاشتباه فى كل أديب غير مسلم أمرا له ما يبرره .

ووصل التغلغل الغربى داخل الفكر المعاصر أن بدءوا يتكلمون عن القرآن فيقولون أن كل ما هو صحيح فى القرآن ليس جديدا (لأنه موجود سابقا فى كتبهم) وكل ما هو جديد ليس صحيحا .

وتجرأ رجال دينهم على الإسلام بصور شتى حتى قال مطران لبنان عام ٤٨ أنه يجب إنشاء دولة إسرائيل لليهود حتى تساعد نصارى الشرق على الخلاص من المسلمين .

وجاءت الهجمة النهائية من الغرب فى القول بفصل الدين عن الدولة ، وأوصلوا هذه المقولة إلى مشايخنا أحيانا .. (ومما هو جدير بالذكر أن نظرية ولاية الفقيه إنما جاءت رد فعل لهذه الهجمة لتأكيد أهمية ربط الدولة والدين) .

وأثار المستعمر النعرات القومية والمذهبية وجعل كل حاكم يستشير قومه ومذهبه ضد الباقين فأوقعوا بين الترك والعرب والآن يوقعون بين العرب والفرس مع أن الله يقول ﴿ إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ﴾ ، والنبى يقرر لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى .

هذه سياستهم فى العالم الثالث

شريعة الغرب هى تقسيم العالم إلى استكبار واستضعاف أو ما يسمونه فى نعومة السم القاتل : العالم المتقدم والعالم الثالث .

وفى الوقت الذى يفلسفون فيه نظرية اشتراكية ونظرية شيوعية ونظرية حقوق الإنسان بغرض عدالة توزيع بين الأفراد يتجاهلون عدالة التوزيع هذه نفسها بين العالم الأول والعالم الثالث .

بل إن كل سياستهم قائمة على امتصاص كل قطرة داخل عروق العالم الثالث بشرههم المادى الذى يتحكم فى حياتهم وأخلاقهم وتصرفاتهم بصورة مادية جنونية ، وطريقة امتصاص عصير العالم الثالث هى جعله يصدر لهم مواده الخام بثمن بخس لا يكاد يوفر

رغيف الخبز الجاف لأهله ثم يصدرون للعالم الثالث صناعاتهم وكمالياتهم بأغلى الأسعار ، وهى عملية سرقة ونصب ، كانت تتضح بسهولة عندما كانوا يحملون إلى زنوج إفريقيا خرزا ملونا ويأخذون أضعاف وزنه آلاف المرات سن الفيل .

إلى جانب عملية النصب فى التبادل التجارى هذه يفتتون العالم الإسلامى إلى ٥٠ دولة فيكون هناك ٥٠ سوق ، و ٥٠ سياسة ، و ٥٠ جيش لا يمكن لأى منها أن يقف فى وجه التكتل العالمى بأى شكل بل إنه دائما هناك اتجاه إلى وضع هذه الخمسين سوقاً والخمسين سياسة ضد بعضها البعض أو فى اتجاهات مختلفة .

وهذا التفتيت ثم هذه المنازعات لا يغذيها الغرب مدفوعا فى ذلك بمسيحية أو يهودية إنما يحركه هدف واحد هو النهب المادى فقط ، فدينهم الحقيقى هو المادة لا المسيحية ولا اليهودية ، وفى الوقت الذى يتكلمون فيه عن العدالة الاجتماعية سواء على مستوى الاشتراكية أو الشيوعية وفى الوقت الذى يتكلمون فيه عن حقوق الإنسان وربما حقوق الحيوان أيضا ويتكلمون عن الحب أو عن السلام أو عن حوار الأديان والحضارات ينكرون كل الإنكار مجرد خطوة مهما كانت بسيطة نحو عدالة توزيع بين الأمم فى الخيرات والنعم الدولية سواء محاصيل أو أنهار أو معادن وناهيك عن مواد مثل اليورانيوم .

كيف تتأتى عدالة اجتماعية وحقوق إنسان على مستوى الأفراد وتنتفى هى نفسها على مستوى الأمم مع أن هذه الأخيرة هى الخطوة الأولى .

هذا الظلم الاجتماعى بين الدول يقع معظمه على أمة الإسلام وعلى أبناء محمد ﷺ ، فمن المعروف أن هناك حدا أدنى للفرد يحقق احتياجاته الأساسية ، هذا الحد الأدنى من الدخل هو مقياس الفقر ، وهو مقياس دولى معترف به ... يحقق الحاجات الأساسية من طعام ولباس وسكن وتعلم وصحة .

مستضعفو العالم جميعا حوالى ٧٠٪ من سكان الأرض ، أما المستكبرون فيشكلون ٣٠٪ فقط ، مستضعفو العالم لا ينوبهم من خيرات الأرض كلها إلا ١٢٪ ، بينما ينوب دول الاستكبار ٨٨٪ ، وهذا ضد النظرية الإسلامية الاجتماعية والسياسية والدولية ... لأنه فى الإسلام : ﴿ لله مافى السموات والأرض ﴾ ﴿ ولله ميراث السماوات والأرض ﴾ ، وكل البشر ما هم إلا (مستخلفين فيه) فقط ، وهذا الاستخلاف يلزم بعدالة التوزيع على مستوى الأمم .

بل هناك ما هو أصرح فى هذا الصدد : فقد حدد الإسلام سبب الطغيان :

﴿ إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ﴾ ، فهذا إذن سبب موقف دول الاستكبار ودول الطاغوت إذ علمنا إذن أن هناك دول استضعاف فاعلم أن أمة الإسلام اليوم فى أدنى درجات هذا الاستضعاف أيضا .

يوجد ٣٠٠ مليون طفل مسلم يعانون نقص غذاء ، ومستوى الرعاية الطبية بين المسلمين مقارنة بها بين دول الاستكبار تساوى ١٥٠١.

وإذا أخذنا دولة نفطية مثل إندونيسيا - ولاتوجد دول نفطية إلا ١٢ دولة - نجد أن ٥٠ مليونا من سكانها الـ٢٣٠ مليونا دخلهم ٩٠ دولار فى السنة مع أن دخل الروس

٥٠٠٠ ودخل الأمريكى ١٣٠٠٠ وهناك ١٣ بلدا إسلاميا دخل الفرد فيهم لا يزيد على ٥٠٠ دولار .

إذن فادعاء الغرب عن حقوق الإنسان والإنسانية والإخاء والسلام والمحبة هو تشدق لفظى لا غير .

المسلمون فقراء ... لماذا ؟

أهم الأسباب هو خضوع الاقتصاد فى الأمة المجزئة إلى ٥٠ دولة و٥٠ سوق و٥٠ سياسة إلى الاحتكار العالمى ، حيث تحصل دول الاستكبار العالمى على خاماته بسعر رخيص يكاد يكون مجانا لأنه لا يقوم بأود منتجه المسلم ثم يصدرون إلينا مواداً مصنعة غالية جدا وهى إما كماليات أو أسلحة فاسدة أو متخلفة ، فهذا الاختلال فى الميزان التجارى يؤدى إلى انتقال دمنا إلى عروقهم ليزدادوا صحة ونزداد هلاكا .

إلى جانب الاحتكار (ويتبعه فى الأهمية) يوجد سبب كامن فينا وهو تخلفنا نحن ذاتنا فى التكنولوجيا والصناعة الكبيرة ، ولنأخذ كمثال واحد - النفط- إنفاق دولار على البحث عنه يعود على المنتج بأربعة دولارات ، ولكنه يعود على ناقلة من ناقلات زيت بستة عشر دولاراً . ويعود على الذى يصنعه بتروكيماويات بأربعة وثمانين دولاراً .

وهكذا نرى أن كل مايصيب دولة تنتج الزيت الخام هو ٤ مما يصيب دولة الاستكبار التى تنقله ثم تصنعه ١٦+٨٤= ١٠٠ دولار ، أى ٢٥ ضعف أصحاب البترول الأصلى ، ومع ذلك فلو رفع أصحاب البترول الأصلى سلعتهم دولاراً واحدا تصر دول الاستكبار على رفع منتجاتها الصناعية ٢٥ مثلا على الأقل ، لأن هذه هى النسبة التى تعودوا على اعتبارها عادلة لمقارنة أنفسهم بنا بل إن هذه النسبة يستعملونها بطريقة قاتلة لنا : لأنه يعتبر أنه لو خفض سعر سلعة له دولارا فلابد أن تخفض نحو ٢٥ دولارا من سلعه أصل سعرها ٤ دولارات فقط ، وهنا تجد دول البترول نفسها مدينة ومفلسة رغم وجود مليارات لها فى بنوك دول الاستكبار ولكن هذه المليارات لا تعادل إلا سعر أربعة الدولارات المهددة .

هذه النسبة : نسبة ٢٥ إلى ١ التى يصر المجتمع الصناعى على إقامتها كعلاقة تجارية مع منتجى أى مادة خام سواء كانت نفطاً أو مطاطاً أو كاكاواً أو غيرها هى استكبار ولا تمت إلى المسيحية ولا اليهودية ولا الاشتراكية ولا الرأسمالية ولا حتى الفوضوية إنما هى نهب ونهب ونهب ...

وليس لهذا السم من ترياق إلا نقل التكنولوجيا وتصنيع المواد الخام الإسلامية أى التى تقع فى حدود عالمنا الإسلامى .

أن أى تعطيل فى هذه العملية هى جحود بالنعمة وكفران بها وهو أمر منهى عنه ، بل إنها أكثر من الجحود والكفر لأنها تسليم مادة إسلامية إلى منكرى الأديان جميعا (اللادينيين) خاصة الإسلام ، وما ذكرناه عن البترول أقل مما يمكن أن نذكره عن غيره : فالعالم الإسلامى يملك حاليا ٩٠٪ من منجنيز العالم و٧٠٪ من فوسفات العالم و٢٠٪ من كبريت العالم ويتركه كله مجانا تقريبا لدول الاستكبار فى الوقت الذى يشترى منها أسمدة كيماوية بأثمان خيالية .

وارتفاع أسعار الأسمدة هو من أهم أسباب جوع المسلمين .

١- أسباب جوع المسلمين : أول هذه الأسباب أن المسلمين لايستغلون إلا ١٠٪ فقط من الأرض الزراعية ، أى حتى بمستوى الزراعة المتخلفة ، لو استغل المسلمون كل أرضهم المتاحة يمكن أن يتضاعف غذاؤهم عشرة أمثال.. بل إن الحاجة الغذائية لمسلمى العالم المعاصر يمكن أن يسدها السودان وحده ثم يفيض منه العشر .

٢- ثانى هذه الأسباب أن معدل إنتاج الأرض المسلمة هو فقط ٤/١ معدل الإنتاج العالمى ، أى أنه يمكن باستعمال الزراعة الحديثة ودون إصلاح أرض جديدة مضاعفة الإنتاج الزراعى ٤ أمثال ، أما لو استصلحنا كل الأرض واستعملنا أسلوب الزراعة الحديثة يمكن أن يزداد إنتاجنا الزراعى ٤٠ ضعفا ... وحذار من المثبطين والمكذبين .. من يكذب بيوم الدين أسهل عليه أن يكذب هذه الأرقام طبعا .

٣- ثالث هذه الأسباب هو أن الأجانب اعدموا الأرض الزراعية ، كيف ؟.. صوروا لنا حضارتهم على أنها الحضارة الكبرى ، وأن أى إصلاح يتمركز فى استيراد هذه الحضارة وأدواتها منهم ودائما استيراد الأفكار والفنون والإنسانيات يسبق الاستيراد التجارى ويصحبه ويتبعه ويتجاوزه آلاف المرات ، وهذا الاستيراد الفكرى والاستيراد التجارى أدى إلى أخطر وضع نفسى وعقلى وخلقى : وهو وضع التبعية !!..

أصبحنا نحن الذين نبحث عن مستعمر لنا دون أن يبذل هو جهدا فى غزونا ، أصبح العبد يبحث عن سيده ويقدم له نفسه بإلحاح دون أن يدفع سيده الثمن .

٤- رابعاً : كان من نتائج التبعية إنشاء المحصول الواحد ، القطن فى مصر والمطاط فى ماليزيا وهلم جرا ، فتدهورت المحاصيل الأخرى وأصبحت الزراعة مقصودا بها سد احتياجات دول الاستكبار لا سد احتياجاتنا نحن .

٥- خامساً : العبث بالمياه وجعلها تصب فى المحيطات ، ومنع أو تعويق إنشاء السدود والخزانات والرياحات ومشاريع الرى الكبرى .. كل دول الاستكبار تمنع تماما أى إنشاءات فى هذا الصدد وما نشأ منها إنما نشأ نتيجة تنافس دولى بينهما فى لحظات محدودة وبطريق الخطأ فقط ، أما السياسة الأصلية لعالم الاستكبار فهى منع إنشاء السدود ومشاريع الرى ومنع إعطاء البذور والكيماوى الجيد والتكنولوجيا إلا المتخلف منها والعبث بالأراضى والمياه والبذور والكيماويات وخريجى الزراعة وخريجى الطب البيطرى ، وليس أدل من ذلك على أن هناك مئات الكماليات الزراعية والبيطرية فى العالم الإسلامى دون أى أثر إنتاجى بعكس الوضع فى إسرائيل أو أمريكا حيث تطبق التكنولوجيا فى الزراعة على ٤٪ من الفلاحين غير خريجى الكليات وتعطى إنتاجا يكفى العالم تقريباً .

والعبث بالزراعيين فى دول العالم الثالث أمر ملحوظ حيث يحولونهم إلى موزعين للكيماويات والمبيدات الفاسدة أو يسندون إليهم مهام جمع معلومات ريفية تفيد السياسة الأمريكية أو يسندون إلى بعضهم مناصب فى مشاريع إصلاح زراعى تنتهى بإعدام الزراعة وزحف الجوع باسم الإصلاح الزراعى

ويساندونهم فى ذلك إلى أعلى المناصب .

إن هناك خطة الآن بمقتضاها يحدث تصحر فى أرض السودان وتصحر فى الشمال الإفريقى ، وحاليا تتصحر ١٠٠ ألف هكتار فى الشمال الإفريقى وحوالى ٤٠٪ من أرض السودان التى سبق أن أنتجت زراعيا .

وهذا التآمر على الأرض المسلمة والوقوف لعدم إصلاحها وعلى إهدار مياه المسلمين فى المحيطات وعلى تجويع الأمة الإسلامية خطة وليس صدفة .

أما عن الإنتاج الحيوانى فإن الأمة الإسلامية لا تنتج إلا ٤٠٪ فقط رغم كل مراعيها وحوالى ١٥٪ من أرض زراعة العالم الحالى فى يدها ، أما الإنتاج السمكى فلا يتجاوز ٧٪ من الإنتاج العالمى رغم كل البحار الموجودة .

ويلاحظ أنه دائما هناك تشجيع أجنبى على استيراد اللحوم والأسماك من الخارج لتكريس التبعية ويلاحظ أن هناك تحطيماً لمشاريع التنمية الحيوانية والسمكية بصفة مستمرة ومتضخمة ، ويقوم بها أخطبوط غير ظاهر تحرك خيوطه دول الاستكبار وينفذ خطوطه الزراعيون والبيطريون المستغلون وتجار ذوو صلة بالغرب وبالبنوك الغربية وبالمافيا .

خلاصة المسألة الزراعية الإسلامية : إن عند مسلمى العالم ١٥٪ من أرض العالم المزروعة وانه يمكن زيادتها ٤٠ ضعفا ، وأن أنهار العالم الإسلامى مثل النيل ودجلة والفرات يجب أسلمتها والنظر إليها والتعامل معها على أنها نعم الله للمسلمين ومن جحود النعمة عدم استغلالها وأن مسألة استيراد ٨٠٪ من غذاء ولحوم وأسماك العالم الإسلامى من الخارج وتخريب الزراعة عن طريق بذور ضعيفة أو كيماوى أو مشاريع إصلاح زراعى مزعوم هو مخطط مقصود وله عملاؤه ، وأن الإصلاح والإنتاج والمحافظة على الأرض والماء هو واجب إسلامى وتبع خطة إسلامية .

إهدار النفط !!

قلنا أن النفط أحد المواد الخام التى يحتكرها الغرب ، ولولا الحاجة الماسة للطاقة لكان احتكاره لها أشد وأعنف مثل احتكاره للمنجنيز والفوسفات والمطاط وغيرها .

ولكن فى نفس الوقت يجب أن نعترف أن انقسام الأمة إلى أكثر من خمسين دولة و ٥٠ سوق و ٥٠ سياسة يؤدى إلى أن الأمة تهدر هذه الثروة المحدودة العمر .

١- فمن المعلوم أن حق الركاز وهو ، الخمس لا يؤدى من الدول غير البترولية ولو كان هناك وحدة للأمة لأدى هذا القدر الذى يكفل رفع مستوى الفرد فى الدول غير البترولية .

٢- هناك تنافس بين الدول البترولية حاليا بعضها البعض ، تنافس فى خدمة الغرب ، فعندما كانت ليبيا تبيع بترولها بأربعين دولار باعته السعودية بثلاثة وثلاثين : عندما نقص البترول المصدر من العراق للغرب عوضته السعودية بزيادة الضخ . وفى الوقت الذى يضخ شعب تعداده مثلا ٤٠ مليوناً من البشر قدرا معيناً من البترول يضخ شعب لايزيد على ٢ أو ٣ مليون نفس هذا القدر وربما أكثر منه وهنا تصبح هناك طبقية فى الرخاء على حساب العدالة الاجتماعية على مستوى دول إسلامية مفروض أن تتجانس إن لم تتقرب وإن لم تتوحد اجتماعيا .

٣- ثروة النفط ليست ملك الجيل الحالى

ولكنها ملك جميع الأجيال المستقبلة وبهذا المفهوم مفروض أن تتحول ثروة النفط الطارئة إلى أصول ثابتة تدر ريعا مستمرا على أجيال المستقبل أما صرف ما فى الجيب اليوم والإفلاس غدا فهو سياسة تحتاج إلى الحجر على أصحابها .

٤- العوائد النفطية ليست مع المسلمين ولكن مع غيرهم : كان ممكناً لأموال النفط أن تعزز استقلال البلاد الإسلامية وعدم الخضوع لروسيا أو أمريكا ، كان ممكنا أن تعزز التحرر الاقتصادى من أمريكا واليهودية العالمية ، فالغنى مفروض أنه مستقل القرار ولكنها فعلت العكس . السعودية عام ٨٠ حققت ٨٥ مليار دولار من النفط والعراق حققت ٢٧ ملياراً ، ومع ذلك عندما كانت السعودية تعيش على بضعة آلاف من رسوم الحج كانت أكثر استقلالا وأقل تبعية ، أما العراق فإنه لم يخضع فقط ولكنه تطوع باستعمال هذا المال كله للحرب والضرب فى الأمة الإسلامية وتوريط غيره معه حتى أصبح العراق نفسه مدينا للدول النفطية وغير النفطية (فرنسا) ورهن بتروله مقدماً .

وإلى جانب الخضوع السياسى والاقتصادى فإن عوائد النفط تُصرف على السلاح غير الإسلامى المصدر وعلى مشاريع بهرجة من فنادق ضخمة ومؤتمرات وزيارات وهبات ودعاية لحاكم ظالم أو فاسد أو على البذخ الشخصى والفساد الخلقى وشراء ذمم المتعلمين ومحاربة الدين وأفكار الدين الأصلية .

الفوائض النفطية ومصيبتها أفدح من مصيبة العوائد النفطية ، فهذه فوائض منسية مودعة فى بنوك الغرب يمكن أن يؤممها الغرب فى أى لحظة كما حدث لإيران من واقعة السفارة فى طهران ، هذه الأموال مودعة لدى الغرب لتحرك عجلته وتقلل بطالته فى الوقت الذى يتضور جوعا إخوان مسلمون فى مصر والسودان وبنجلاديش .. لدرجة أن يتقرب إليهم قسس المسيحية بالمعونة !! .

هذه أموال محبوسة عن دورة الحياة الاقتصادية فى بلد المنشأ ، أموال محبوسة عن أصحابها ، هناك إيداعات فى أمريكا ٣٠٠ مليار وفى أوربا ١٥٠ ملياراً وهناك قروض للدول الصناعية الغنية المستكبرة والمتكبرة ١٢٠ ملياراً ، وفى الوقت الذى يتضور فيه مصر والسودان مثلا .

تصور مثلا دولة تفتح لفرنسا اعتماداً بمليارى دولار ثم تشتريه من سندات الخزينة الفرنسية باثنين مليار ، ثم تمول مشاريع فى فرنسا بكذا مليار ، وتفعل نفس الشئ مع أمريكا مضاعفا عشر مرات أيضاً ، وتقرض المؤسسات الدولية كالبنك الدولى ١٠ مليارات وتودع فى سوق النقد الدولى ٦٠ ملياراً ، ثم بعد ذلك تؤلف لجنة من سبعة أشخاص من قادة سبع دول شقيقة لها لتقابل رئيسة وزراء بريطانيا لعرض مقررات فاس المعتدلة بل المتهاونة جدا بخصوص الفلسطينيين المشردين فترفض رئيسة الوزراء مجرد المقابلة ، ثم يعاودون هم الوقوف بالأبواب بكل انعدام للكرامة ويعاد طردهم عن الأبواب ، وما هذا إلا بتفريطهم فى ثروتهم المودعة عند الغرب كفوائض بدون دفاتر حساب .

هذه الفوائض يقوم اليهود بالتلاعب بها فى قيمة الدولار بالنسبة للعملات وبالنسبة للذهب فتتناقص قيمة هذه الفوائض ذاتيا .

فالأوبك خسرت من ٧٤ إلى ٨١ مبلغ ١٤٤ مليارا دولار نتيجة التلاعب هذا .

وهذه الفوائض ممنوع تحريكها داخل دول الإيداع بما يتنافى مع اقتصاديات الغرب ، الخلاصة : أن حكام الأمة الإسلامية فى الوقت الذى يكن فيه بعضهم الضغينة والعداء والتعذيب والتنكيل للمسلمين يتهافتون على الغرب لا بالكلام ولا بالشعور ولكن بالمال ، مال المسلمين وهو تصرف غير شرعى وغير إنسانى وغير عاقل أيضا .

إن التبجح بأن العالم الإسلامى ليس فيه أيد عاملة ماهرة أو تكنولوجيا متطورة تسمح باستثمار هذه الأموال مردود عليه بأن نفس هذه الأموال إنما تودع فى بنوك ربوية ، لتخدم اقتصادا ربوياً يحرمه الإسلام ويحاربه وأن استثمار بعضها فى خلق تكنولوجيا فى بلد المنشأ ممكن وإذا فاض شئ فمن الممكن حجزه داخل الأرض على هيئة بترول غير مضخوخ إلى أن تتطور تكنولوجية الأمة .

لماذا تغرقون أسواق العالم بالنفط حتى انخفض سعره لدرجة الإفلاس ولستم فى حاجة إلى مال سائل حاليا ، أليس هذا تصرفا ضد العقل يحتاج إلى الحجر .

إن عدم استثمار أموال البترول فى بلاد الأمة مردود عليه بأن هناك ٦ ملايين يد عاملة متعطلة فى البلاد الإسلامية العربية وحدها عام ٨٠ ، وأن نفس البنوك التى أودعت فيها فوائض البترول تقوم بإقراض هذه الفوائض نفسها أو مضافها فى نفس بلاد المنشأ فى ربا يقصم ظهر هذه البلاد ويعجزها عن السداد فى مصر والسودان .

قروض بنوك الغرب إلى دول العالم الثالث فى عام ٧٤ كانت ٢٥٠ مليار ، دولار فأصبحت عام ٨٠ ألف مليار .

يقولون لا يوجد مجال للاستثمار فى الوقت الذى يئن فيه شعب مصر المسلم وغيره من شعوب إسلامية من ندرة رءوس الأموال ويسن قوانين لجلبها بعضها من الضرائب على حساب أهل البلد الأصليين وتزداد مديونيته عاما بعد عام .

إن أساس المديونية التى تعانى منها شعوب الأمة الإسلامية وأساس الأزمة الاقتصادية الطاحنة وأساس الجوع الكافر الذى تتعرض له حاليا ليس إلا بسبب إيداع أموال البترول فى بنوك الغرب ، وليس لها حل إلا بإيداعها فى ديار الأمة الإسلامية .

وهذا الإيداع إن لم يتم بطرق سلمية فسوف يتم بثورة الشعوب البترولية عندما تطلع على هذه الحقائق وعندما تواجه بها دعاة السلاطين وأبواقه .

الثروة البشرية مشكلة سكانية !

حبا الله العالم الإسلامى بثروة خيالية وكنز أسطورى ، (فضلناهم على من خلقنا تفضيلا) يتمثل هذا فى أمرين :

١- الموارد الطبيعية الخيالية .

٢- الموارد البشرية .

وهذان العاملان يحددان القدرة السياسية للأمة الإسلامية ، وهما كفيلان بجعلها فعلا (مفضلة تفضيلاً) على سائر البشر ، ولكن كلا العاملين مُهدر إهدارا تاما . بل إن العامل البشرى يُحارب أكثر مما يُحارب أو يُهدر العامل الأول .

فحاليا عدد الأمة هو ألف وثلاث مائة مليون أى ربع البشر ، وأرضهم ثلث أرض

البشر ، ولكن مكانتهم لا تتناسب مع العدد ولا الأرض وموارد الأرض .

وبرز أخيرا مذهب خطير يدعى أن الجوع هو نتيجة التكاثر وأن على المسلمين أن يقللوا عددهم فيشبعون ، وهذا خط مضاد تماما للخط الإسلامي الشرعي المقرر .

فالرسول يقول (اطلبوا الولد فإني أكاثر بكم الأمم غدا) ويقول (تناكحوا تناسلوا فإني أباهي بكم الأمم) فالتناسل واجب ، والفرار منه قعود .

والإسلام يعتبر النمو السكاني أساسا اقتصاديا ، وهو بذلك عكس نظرية (مالتس) نظرية التكاثر الإسلامي أن النمو السكاني يزيد حجم اليد العاملة ويزيد سوق العمل والإنتاج ويطور المؤسسات الفوقية والتحتية بالتنافس الإبداعي ، وأن التكاثر ليس استهلاكا فحسب ولكنه إنتاج أولا ثم استهلاك ، والاستهلاك هنا هو سوق يتسع ويتطلب مزيدا من الإنتاج ومزيدا من الإبداع ومزيدا من التطور .

والمهم في أي مجتمع ليس مجرد التعداد وهل هو كثير أو قليل ولكن الأهم هو نسبة السكان المنتجين إلى التعداد الكلي .

فحاليا في العالم المتقدم أو عالم الاستكبار نسبة المنتجين إلى العدد الكلي هي ٦٨٪ فأكثر بينما في العالم الإسلامي لا تزيد عن ٥٠٪ حاليا ، فهذه النسبة هي المسألة ، ولو نشطنا نسبة العاملين وزدناها إلى أكثر من ٧٠٪ فلابد أن نتقدم دوليا بدون أي فلسفات ولا نظريات ولا كهانة .

والعامل الثاني بعد هذه النسبة الفعالة تأتي نسبة الأمية ، وهي ٤٪ فقط في عالم الاستكبار بينما هي ٧٠٪ في عالمنا الإسلامي المعاصر ، وهي أي الأمية مُحرمة تحريما قاطعا وأمر القرآن صريح ، وإبادة الأمية هي من القربات ولا تقل عن تحرير الرقيق .

يمكن تلخيص موضوع المشكلة السكانية الإسلامية بأن المطلوب هو ثلاثة أمور .

١- زيادة السكان بالتناسل الطبيعي دون أي موانع .

٢- زيادة نسبة العاملين بحيث لا تقل عن ثلاثة أرباع السكان وهذا يعني أن يشتغل كل رجل وكل امرأة ولو داخل البيت في عمل منتج ذهني أو يدوي .

٣- محو الأمية اجباريا وتطوعيا وجعلها واجبا دينيا بعد الصلاة والصوم والحج .

وخلق وسائل لمحو الأمية في الراديو والتليفزيون والمسجد وتحميل كل مجموعة سكان في عمارة أو قرية أو مؤسسة مهمة تعليم باقي السكان الأميين .

إن محاربة الأمية وزيادة نسبة المنتجين وإكثار النسل المنتج هو أسهل حل تلقائي ورخيص وسريع لإخراج الأمة الإسلامية من عالم المستضعفين .

(تذكروا أن المستضعفين في الأرض مثل الديك الذي يُنحر في الأفراح وفي المآتم) !!..

الابتزاز التكنولوجي

في كل قطر من الأقطار التي تفتت إليها عالمنا الإسلامي يتولى الغرب تفسير أمورنا كالمحجور عليه وذلك كطلبنا ، ونحن نطلب هذا الطلب أملا في شراء التكنولوجيا .. نأخذ كمثال : (السعودية) وهو مهمة مركزية تستقطب اهتمام حكومات العالم كلها تقوم به جامعة ستانفور الأمريكية ، أما مشاريع الخطة

فتنفذها شركة بكتل وشركة بارسنس وأما متابعة الخطة فتقوم بها شركات أرامكو وهى شل وراد كميكال واكسون وموبيل .

وما يقال عن السعودية بطريقة مكشوفة صريحة يقال عن باقى الأقطار ولكن بطريقة مغلقة ، فالبنك الدولى ، والمناورات الحربية والجامعة الأمريكية وجمعية الصداقة والمنح من أمريكا تقوم هنا وهناك بنفس المهمات .

وفى جميع الحالات لابد من موافقة أمريكية أو أمريكية محلية مشتركة على الأمور .

والتكنولوجيا التى تجرى وراءها ليست هى سبب الحضارة أو المدنية ولكنها نتيجة لها ، انشر العلم على كل مستوى ينتج لك العلم تكنولوجيا ، أما شراء التكنولوجيا دون أن يكون عندك علم أصلا فضلا عن الأمية فلا يعنى ذلك إلا التبعية ، وهو وضع أقسى من وضع زوج أو زوجة أمية تعيش مع جامعى حاصل على جائزة نوبل .

أمريكا تصرف على البحث العلمى ٥ر٣٪ وكل من فرنسا وألمانيا تنفق ٥ر١٪ ومجموع هذا الإنفاق يحقق ٩٨٪ من الإنفاق العالمى ، أما دول العالم الثالث وفيها دول الإسلام لا تنفق إلا ٥ر٢٪ ، وهذا هو سر التبعية .

إن عملية شراء التكنولوجيا هى عبارة عن عملية زرع آلة مستوردة ، هذه الآلة مشتراه بسعر مبالغ فيه ، وتحتاج للخبرة الأجنبية الفادحة للتركيب ثم الصيانة .

والخط الصحيح هو المحاولة الذاتية عن طريق التعليم لتطوير الآلة المحلية أولا بالتقليد ثم بالابتكار كما فعلت اليابان وكوريا وتايوان.

ومع بدعة بيع التكنولوجيا لجأت الإمبريالية العالمية إلى أسلوب شيطانى آخر هو إعادة توزيع الصناعات عالميا ، فبلدان الاستكبار تتأثر بالصناعات الحيوية تاركة للعالم الثالث الصناعات غير الفعالة فهم يبيعون لنا مصانع متخلفة عندهم وتكنولوجيا قديمة وعمدوا إلى إقامة مصانعهم فى بلدان المواد الأولية ذاتها حتى يكون النهب أسهل وأسرع وأرخص فالمواد الأولية رخيصة والطاقة البترولية شبه مجانية واليد العاملة رخيصة والأسواق مفتوحة ، وتصريف البضائع لا يتكلف نقلا وخبراؤهم يقبضون عملاتهم الحرة أولا بأول .

كل هذا يتم فى ظل وضع شرحناه هو أن الدولة المتخلفة تصدر سلعة واحدة إن هى صدرت وتستورد عدة سلع ، فتصبح دائما مدينة وميزانها التجارى لغير صالحها ويلاحظ أنه رغم مديونية هذه الدولة المتخلفة تقوم دول أوروبا وأمريكا بحرق محاصيلها أو إلقائها فى البحر فى الوقت الذى يموت فيه ثلث العالم جوعا وهى تعلم تماماً أن سبب الجوع هو نهبها الإمبريالى بالأساليب التى ذكرناها : بيع تكنولوجيا متخلفة وغالية ، ميل الميزان التجارى دائماً ضدنا ، تخطيط أمورنا بمعرفتهم هم عن طريق الجامعات ومراكز الصداقة والمراكز المشتركة .

مافيا النهب الدولى للعالم الإسلامى : فى الدول الصناعية ٦٥٠ شركة ميزانيتها ٢٥٠٠ مليار دولار تستثمر منها الثلث فى العالم المتخلف ، ويؤدى هذا الثلث إلى نتائج خطيرة.

١- يحقق عائدا للغربى أعلى مما لو استثمرت داخل بلده .

٢- يخرب اقتصاد العالم الثالث ومنه

الإسلامى عن طريق الدعاية للمافيا الصناعية وحضارتها ومواردها الكمالية وعن طريق التجسس العسكرى والاقتصادى والاجتماعى وأخيرا عن طريق تخريب الاقتصاد المحلى لدرجة إيقاف نموه بالكامل .

من أخبث الأمور أن يأخذ هذا الثلث المستخدم لتخريب الاقتصاد المحلى وللتجسس اسم (مساعدات اقتصادية) تماما كما يسمى القسيس الذى يحولك عن دينك مبشرا وكما يسمى فترة حياة الرسول والصحابة بالقرون الوسطى !..

وأساس هذه المساعدات الاقتصادية هى منع هذه الدول من الثورات والتأثر بالثورات المحيطة والبقاء داخل التبعية ، ولكن هذا نفسه يأتى فى مرحلة أدنى من مرحلة التخريب الاقتصادى الذى يتسترون عليه .

ولم نسمع أن روسيا أو أمريكا افتقرتا نتيجة مساعداتهم التى يبذرونها هنا وهناك بل الذى حدث أنهما ازدادتا غنى ، لأن كل قرش يعطونه يشترطون أن يشرف عليه خبراء لها ، وهؤلاء يستثمرونه فى عائد سريع لدولتهم وتخريب سريع لدولتنا .

البنك الدولى جيش استعمار جديد يهودى دون أن يكون يهوديا :

الفكرة نفسها يهودية : اقرض لتتحكم فى المقرض حتى لو بعت لحمه وفاء لقرضك . على طريقة شيلوك التى سجلها شكسبير ، أسلوب البنك هو أن تساهم فيه الدولة المشتركة بمبلغ ربعه ذهب يودع فى البنك الدولى وبالباقى عملات حرة تودع فى البنك المركزى للدولة المساهمة ولكن مرهونة لحساب البنك الدولى .

ويؤدى البنك هنا أخطر الأدوار نظير إقراضه دولة ما ساعة العسرة فهو يشترط أن تفتح أسواقها للتجارة الدولية ومعنى ذلك أن يخرب اقتصاد أى دولة نامية لا تستطيع صناعاتها أن تنافس السلع الأجنبية ويشترط فتح سعر عملتها على السعر العالمى ومعنى ذلك مرة أخرى تخريب عملتها الضعيفة إزاء عملة دول الاستكبار ويشترط رفع الدعم عن السلع الأساسية ومعنى ذلك إذا ارتفع سعر الرغيف ارتفعت أسعار كل شئ أضعافا مضاعفة حتى تصبح الفاكهة مثلا غذاء لطبقة الأثرياء والخدمات التعليمية والطبية محدودة فى طبقة ضيقة وهكذا كل شئ .

وهذا البنك دخل مصر عام ٧٨ وهى مدينة بثمانية مليارات وبعد ٣ سنوات فقط بلغت ديونها عام ٨١ إلى ١٨ ملياراً ، أسلوب يهودى قح تتضاءل بجواره كل أساليب اليهود قبل ذلك .

دم الغرب من عندنا نحن : اعرف حقيقة اقتصادية مبسطة جدا ودقيقة جدا وهى أن كل دولار غربى مُستثمر فى بلاد العالم الثالث يعود عليها بعائد يتراوح من ٥ر- إلى ٣ دولار سنويا ، أى أن كل دولار يدخل عندنا يقابله خروج ٣ دولار من عندنا .

واعلم أن الغرب وجد أنه أرخص له نهب البترول العربى من أقصى المنابع عن أن يستخرج هو فحمه من تحت أقدامه لأنه يحصل على البترول مجانا بالفعل بدليل أن نفط أمريكا المخزون داخلها هو ٨١٠ مليارات برميل لا تستخرجه لأن مصاريف استخراجه فقط أغلى من شراء النفط الإسلامى ونقله عبر القارات . والثمن الزهيد الذى يدفعونه فى هذا النفط يقبضون عوضا عنه أضعافه من

مـرتبـات خبـراء وتصـريف سلع وسـلاح وهدم اقتصاد محلى وأهم من ذلك أنهم يكسبون ٤ أضعـاف ثمنه فى النقل و١٦ ضعـفـاً فى تصنيعه إلى مواد بتروكيماوية ، يعيدون بيع جانب منها لنا .

إن ثمن استـخـراج فحم يعطى طاقة مثل طاقة برمـيل بتـرول يكلف أوروبا ٤٠ دولار على الأقل ، هم يشترون البـتـرول بثلاثين أو بعشرين دولاراً ، أى يأخذونه مجاناً ويأخذون عشر دولارات أو عشرين بقشيشاً .

إن أى محـاولة للنيل من النفط تسـاوى الحرب .. لماذا ؟.. لأنهم يغتنون منه ، يغتنون من مجرد الشراء فضلا عن استعماله كطاقة .

وهذا هو سـر غناهم بعـد أن حـرروا المستعمرات .

زاد من ٥ر- إلى ٤ دولار بعـد تكتل دول النفط فى منظمة أوبك .

ظل سعر برميل النفط منذ عام ١٩٠٠ إلى ١٩٦٠ هو ٥ر١ دولار فقط ، كل الزيادة التى جاءت بعد ٧٣ كان سببها أن أمريكا أرادات

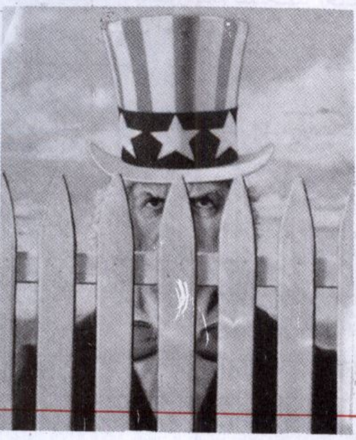

كبح جماح أوروبا وتحطيم اليابان بعد أن نما اقتصادهما أكثر مما تسمح أمريكا.. وفى نفس الوقت استعملت هذه الزيادة المزعومة - والتى هى أرخص من استخراج الفحم - فى امتصاص غضب العالم الإسلامى بعد ثوراته الوطنية وبعد مأساة ضياع فلسطين وفى نفس الوقت حققت به أرباحا خيالية لأنها تحتكر ٦٠٪ من البـتـرول .. لأنهـا تنقل وتصنع الغالبية العظمى منه .

قـامت الحـرب العـراقـيـة الإيرانيـة فى ٨٠/٩/٢٢ ، وبعد عام واحد انخفض سعر البتـرول نحو الثلث وتوفر فائض نحو الثلث وأصبح هناك بائعون بدون مشترين ! فهل يُعقل أن هذا كله يحدث مصادفة ؟.. لا ، إنه تخطيط .. دعت الدول النفطية الصديقة لها لزيادة الضخ .. والخسارة حاقت فقط بهذه الدول الصديقة حتى أصبحت مدينة ، وفر الغـرب ٤٠ ملياراً دولار سنوياً على حساب هذه الدول الصديقة التى صرفت على خليلها حتى أفلست تقريبا .

قـدرت صحـيـفـة الراية القطرية أن الأوبك فقدت فى عامين فقط ١١٨ مليار دولار . إذن هى ليست مسألة ابتزاز فقط ولكنها استغفال واستحمار أيضاً .

الإنفاق السفيه : تصدر دول البترول العربية بترولا ثمنه ٧٠ مليار دولار بسعر عام ٨٠ وتستورد سلعا غربية بأربعين ملياراً معظمها سلع استهلاكية ، وشراء السلع الاستهلاكية معناه المباشر خفض الإدخار المتحقق حدوثه لو لم يتم استيراد هذه الأشياء غير الضرورية ، أى أن الغرب يشجع عدم الادخار أى التبذير أى السفه ولاحظ أن هذا الإنفاق كله هو من

سلعه هى رأسماله الوحيد والتى ستنضب يوما ما ويعيش أولادهم وأحفادهم لاجئين أو متسولين أو عبيداً .

الإنفاق الأشد سفها : فرض الغرب حربا عن طريق إسرائيل ثم فرض حرب ظفار ثم حرب اليمن الشمالى والجنوبى ثم حرب العراق إيران وحرب لبنان وحرب جنوب السودان ، وكل هذا أدى إلى مبيعات سلاح له فى المنطقة لا تشابهها منطقة أخرى فى العالم لأنه لا يوجد فى منطقة أخرى بترول .

وكل قرش يُصرف على السلاح معناه حبس هذا القرض عن الزراعة والصناعة والتنمية وإهداره سواء استعمل السلاح أو لم يستعمل ، إن ثمن دبابة واحدة يكفى لبناء مخازن للأرز يكفى ١٠٠ ألف طن ، ومعنى ذلك إن دبابة واحدة تساوى ما يُفقد من عدم تخزين هذا القدر من الأرز وهذا المفقود يساوى ٤٠ ألف طن !! وثمن دبابة يكفى لفتح ١٠٠ مدرسة لثلاثين ألف يخرجون من الأمية وثمن طائرة واحدة يكفى لبناء ٤٠٠ مستشفى فى ٤٠٠ قرية .

بيع هذه الأسلحة المكدسة فى مخازن الغرب يخلى المخازن ويشغل العمال عندهم ويجدد التكنولوجيا عندهم وينقل أموالنا إليهم ويخرب التنمية والتعمير والتعليم والصحة عندنا .

ثمن السلاح الذى مصدره الغرب يأخذ أضعافه منا بترولا ومطاطا وقطنا وتبعية ذهنية .

التكامل الاقتصادى الإسلامى: هذا واجب دينى ، وحتى بعيدا عن الدين العالم الآن كله يتكتل اقتصاديا بدون حافز دينى .

هناك سوق أوربية مشتركة للدول الغربيه وهناك كوميكون للدول الشيوعية. ودرجات التكامل تتراوح بين :

١- مناطق تجارة حرة تخفف فيها الرسوم الجمركية .

٢- اتحاد جمركى يلغى الجمارك ويشجع التبادل السلعى .

٣- وهناك السوق المشتركة : رفع الجمارك وتبادل سلعى حر وأيضا رفع القيود ، عن انتقال الأموال والأشخاص .

٤- وحدة اقتصادية وهى تنسيق الاقتصاد بين بلدين .

٥- الاندماج الاقتصادى الكامل وهذا يوحد السياسة النقدية والاجتماعية أيضا. هذه هى خطوات الوحدة التى سار عليها فعلا اللادينيون ، فما بالك بالمسلمين ، علما بأن الإسلام يمنع إقامة حدود بين بلدان الإسلام .

لنكتف بالتكامل الآن : هذا التكامل يوسع السوق ، هذا التوسع يفتح الباب تماما أمام التقدم الصناعى والإنتاج الكمى ، المصنع الذى ينتج ٢٠ مليون بدلة ينتجها أحسن وأرخص وبأسلوب أحدث من الذى ينتج مليونا وبالتالى يستولى على السوق مزيحا مصنع المليون بدلة.

إن بلدا مثل الكويت يمكنه إنتاج أسمدة ولكن أين يصرفها إلا إذا كان هناك سوق كبير فيه مصر والسودان والعراق وباكستان .

نتدرج فى أمثلة الصناعات حتى نصل إلى الصناعات العسكرية ، الأسلحة فى حالة تطور سريع جدا وهذا يستلزم للقيام بأعباء البحث والتطور وجود سوق كبيرة تعوض مصاريف البحث والتطوير نفس الشئ عن

البتروكيماويات وغيرها وغيرها
وكل هذا فى النهاية يؤثر على البلدان الإسلامية فى المساومات السياسية ومساومات التجارة الخارجية الدولية .
لولا تكون الأوبك لظل سعر البترول حتى الآن ١٫٥ دولارا كما كان عام ١٩٠٠ إلى ١٩٦٠ ، وربما كان انخفض أيضا عن ذلك .
وأول خطوة فى التكامل الإسلامى هى بناء الهيكل التحتى الذى ترتكز عليه الوحدة وهو إنشاء طرق تصل كافة أجزاء العالم الإسلامى: عندما كانت بريطانيا تعمل معاهدة مع مصر أو العراق أو غيرها كانت أول خطوة تضعها هى إنشاء مايسمى بطرق المعاهدة وهى شبكة مواصلات تخدم هدف بريطانيا ساعة الحرب ، وهو نفس ما يلزم الأمة الإسلامية الآن ، لأن هذه الطرق هى الشرايين التى تحمل الدم الزراعى والتجارى والبشرى من مكان إلى مكان فى جسم الأمة الإسلامية .
ثم يلزم بعد ذلك حرية انتقال الأفراد والأموال والسلع بين أجزاء الأمة أيضا وهذا يحتاج إلى مكتب احصائيات لمنتجات وثروات وقدرات البشر والمشاريع وتبادلها وتكاملها ووجود هذه البيانات واضحة يكفل أن يقوم تجار الأقطار الإسلامية بالباقى .
ويجب أن تكون هناك قاعدة الأفضلية فى

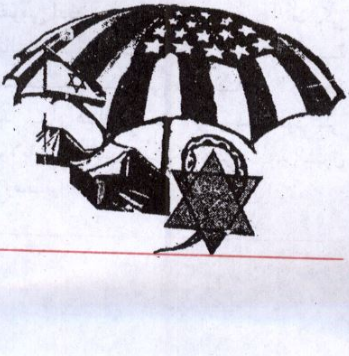

التعامل مع الدول الإسلامية فى الاستيراد والتصدير والمشاريع المشتركة والتبادل الثقافى الاقتصادى والتحالف السياسى أو الحربى ، هذه الأفضلية هى وعى ، هى تمييز بين العدو والصديق ، هى رد على كل من تسول له نفسه عدوانا على أى بلد مسلم .
ومبدأ الأفضلية هذا هو صميم العدل وروحه ولا يستقيم العدل بدونه ، وهذه الأفضلية هى واجب مقدس على المثقفين أن يفرضوه فرضا على حكوماتهم ونقاباتهم ومجالس نياباتهم وصحفهم وجميع مؤسساتهم ، وهى مقياس الحكم على تصرف أى حكومة فى المجال السياسى الدولى والمجال الاقتصادى والثقافى ، وتوجيه الحركة الإسلامية العالمية نحو مراقبة تنفيذ هذه الأفضلية أمر حيوى .
إن أى محاولة للتكامل الإسلامى سوف تلقى مقاطعه اقتصادية من دول الاستكبار وسوف تلقى إعلاما مسموما دساسا وسوف تلقى دسائس سياسية ومحاولات لشق الصف واستخدام الحكام المحليين وإثارة معارك وحروب محلية .
وحتى بدون هذا وذاك سوف يكون مجرد إنشاء طرق مواصلات على مستوى العالم الإسلامى وإنشاء معاهد تدريب مشتركة ومعاهد تخطيط مشتركة وبنوك ونقابات مشتركة أمورا عسيرة غاية العسر مجهدة غاية الإجهاد تبدأ ثم تتعثر ثم تتوقف .
لا حل لهذا كله إلا البدء من النهاية .
البدء بالخلافة .
حل كل مشاكل المسلمين يتم بإعادة الخلافة.

د . فهمى الشناوى

بمناسبة مرور ٤٠ عاما على حرب ٧٣ نعيد نشر المقال الذى خص به المغفور له بإذن الله الفريق سعد الدين الشاذلى مجلة المختار الإسلامى منذ ١٠ سنوات

حوار الشهر :

الفريق سعد الدين الشاذلى

رئيس أركان حرب القوات المسلحة فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ ونظرته للأحداث الجارية ومعالم المستقبل

أجرى الحوار : عبد الرحمن هاشم

خاص : المختار الإسلامى

سعد الدين الشاذلى

• ماذا يمثل قرار توسيع حلف الناتو شرقا وأثره على الأمن القومى العربى ؟..

- هناك قاعدة ذهبية فى الاستراتيجية وفى السياسة وهى أنك لابد أن تعرف من هو عدوك الاستراتيجى ومن هو صديقك الاستراتيجى ونستطيع القول إن حلف الناتو عدو استراتيجى للأمة العربية والإسلامية بسبب بسيط هو أن حلف الناتو كان موجه ضد الاتحاد السوفيتى وحلف وارسو وبعد سقوط الكتلة الشيوعية أصبح لا يوجد له عدو وظهرت صيحات داخل الحلف ذاته تقول : من هو العدو ؟..

وكانت إجابة الساسة فى الحلف أن العدو هو الإسلام وإذا كانت الشيوعية قد سقطت فإن الإسلام أشد خطورة من الشيوعية خاصة الإسلام الحركى الذى يدافع عن المبادئ الإسلامية والحقوق الإسلامية المضيعة ، فسواء توسع حلف الناتو أم لم يتوسع فهو يعتبر الإسلام عدوه الاستراتيجى .

• لماذا تعطى أمريكا أولوية كبرى لمسرح العمليات الآسيوى ؟..

- لا أستطيع أن أقول أن أمريكا تعطى أولوية كبرى لمنطقة الشرق الأقصى ، نعم منطقة الشرق الأقصى لها أهمية بالنسبة لأمريكا لوجود كم هائل من السكان (٣ مليار نسمة أو أكثر تعيش فى هذه المنطقة) فاليابان تعتبر ثانى دولة فى الاقتصاد بعد أمريكا والصين فى خلال ٢٥ سنة يصبح الدخل القومى لديها معادل الدخل القومى الأمريكى وبالتالى تزداد الخطورة خاصة أن هناك نهصة صناعية كبرى فى هذه البلاد ... ولكن الغريب أن هناك اهتماما أكبر يستحوذ على الولايات المتحدة الأمريكية هو منطقة الشرق الأوسط والصراع العربى الإسرائيلى !! .

- إذا كان الأمر كذلك فلماذا لا يحدث تقارب واتحاد بين الدول العربية والدول الإسلامية ؟..

- هذا يجب أن يكون قال تعالى (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) فالعروبة والإسلام لا تعارض بينهما وأحزن كثيراً حينما أجد بعض الدول الإسلامية والعربية تتنافر ويحدث تباعد وعدم تفاهم بين بعضها وبعض خاصة في مثل هذه الظروف القاسية التي تمر بالأمة الإسلامية كلها عربها وغير عربها .

● ما هو مستقبل الحرب الأمريكية العراقية ؟..

- أمريكا لديها تصميم في أن تضرب العراق ومهما استجاب العراق لمطالبها فالضربة قادمة ، فالعراق من وجهة النظر الأمريكية دولة مارقة متمرده ولابد من تأديبها ، وكما يُقال عندنا في الأرياف (اضرب المربوط يخاف السايب) فضرب العراق له أكثر من هدف وله أكثر من مصلحة تجنيها أمريكا ولكن الخلاف قد يكون في كيفية تنفيذ الضربة ؟..

في الحقيقة أمريكا أمامها طريقين ، طريق الغارات الصاروخية والطلعات الجوية المكثفة وهو حل سريع ورخيص ولكنه لن يحقق إسقاط النظام العراقي وإقامة نظام عميل ببغداد ... الطريق الثاني هو القوات البرية اللازمة لإسقاط النظام في بغداد وهذا الأمر يستلزم توفير ما يقرب من ١٢ : ١٠ فرقة بمعداتها وذخيرتها الكاملة وأمريكا كل إمكانيتها في العالم ١٠ فرق برية فقط ما بين مدرعة وميكانيكية علاوة على ٣ فرق بحرية أي ١٣ فرقة منتشرة في العالم كله ولا تستطيع أمريكا أن تجمع أكثر من ٣ أو٤ فرق في أحسن الظروف .

فمن أين تأتي بباقي الفرق اللازمة لإسقاط النظام العراقي ؟.. هنا يأتي دور التحالف الدولي ... ولكن هناك مشكلة ألا وهي حشد ما يقرب من ١٠ : ١٢ فرقة برية (أي في حدود ٢٧٥ ألف جندي وضابط) في أي أرض يكون ؟.. لابد من أرض ملاصقة للعراق لكي تتحرك منها القوات ... السعودية تعتبر المكان المثالي لذلك ولكن السعودية أعلنت بصريح العبارة أنها لن تسمح باستخدام أراضيها في ضرب العراق ... الكويت ليس لديها مانع ولكن مساحة الكويت صغيرة ولا تستوعب هذا العدد الضخم من القوات ولا يوجد بنية تحتية تستوعبهم بمعداتهم وذخيرتهم ومدرعاتهم ... تركيا في الشمال أراضيها غير ممهدة فهي منطقة جبلية لا تسمح باستخدام المدرعات بهذا العدد الضخم .

إسرائيل ليس لديها حدود مباشرة مع العراق ولكن عن طريق الأردن وهي دولة ضعيفة فيمكن اتخاذها دولة مرور ، إذاً فإسرائيل هي المكان المناسب لحشد القوات البرية اللازمة لإسقاط النظام في بغداد .. يبقى، أن نعلم أن إسرائيل لديها بمفردها ١٢ فرقة مدرعة .. فالأرض والقوات إذاً موجودة ولا داعي لجلب قوات من الخارج ويمكن أن توضع فرقة في الكويت وفرقة في تركيا كخطة ثانوية للحرب

● ولكن هناك خطأ أحمر أمام إسرائيل في

حرب ١٩٩١ لكى لا تشارك فى الحرب ؟..

اليوم سقطت ورقة التوت التى يختبئ ورائها الأمريكان ، لم يعد أحد يشترى خاطر الأنظمة العربية ، ولا أستبعد أن تشارك إسرائيل بقوات فى هذه الحرب ، العرب فى حرب ١٩٩١ اشتركوا بـ ٤ فرق الآن قالوا لن تشارك فى هذه الحرب ضد العراق ولو افترض صحة هذا الكلام فنجد أن القوات التى تم حشدها فى حرب ١٩٩١ قدرت بـ ١٥ فرقة مدرعة استغرق حشدها ما يقرب من ٦ أشهر . الآن أمام أمريكا أن تستخدم فرق إسرائيل المدرعة ومكان الحشد موجود ومدة الحشد لا يوجد فيها مشكلة لإسرائيل لا تحتاج لأكثر من أسبوع .

الخطة التى أتصورها فى هذه الحرب : حشد ٩ فرق ، فيلق يدخل الأردن للسيطرة عليها وتمهيد الطريق وتأمينه لاندفاع القوات الأخرى ثم تدخل ٣ فيالق فى اتجاه بغداد وفى خلال ٥ أيام يصلوا إلى نهر الفرات .

• فماذا سوف تفعل بغداد ؟..

على العراق أن يتفادى القتال مع أمريكا طول المنطقة الصحراوية من الأردن إلى الفرات ويجعل منطقة القتال حول نهر الفرات أى المنطقة الزراعية لأنها غير صالحة لاستخدام المدرعات والقوات البرية. هذه مجمل الخطة الأمريكية ومجمل ما يجب على العراق أن يفعله .

وأمريكا الآن تحاول أن تحتل المنطقة الغربية للعراق بحجة منع الصواريخ العراقية أن تضرب إسرائيل هذا هو الظاهر لكن الحقيقة هى أن أمريكا تريد إنزال قواتها فى هذه المنطقة غرب العراق لكى تؤمن دفع القوات الإسرائيلية البرية .

• ترى ماذا سيكون رد الأمة العربية ؟..

- يجب أن نفرق بين الأنظمة والشعوب فالأنظمة ستدين وتشجب وتستنكر وتحتج ولن تصد أمريكا عن تنفيذ أهدافها ، أما الشعوب فلا شك أنها ستتحرك وهذا ما أتوقعه وأمل وأدعو أن تتحرك بشكل يضرب المصالح الأمريكية والإسرائيلية فى المنطقة وكل من يشارك فى ضرب العراق وخاصة أن تدخل إسرائيل لم يعد كما كان من قبل خط أحمر .

• التحالف الأمريكى الإسرائيلى إلى أين؟

- مادامت الأوضاع الدولية والإقليمية كما هى فهذا التحالف مستمر ... فأمريكا زعيمة الموقف الدولى والمهيمنة على جميع دول العالم بل وتفرض سياستها فرضاً وهذا يسرى على الأنظمة العربية والإسلامية إلا من رحم الله .. وما دامت الأوضاع بهذا الشكل فما الذى يدعو أمريكا إلى أن تقلل أو تغير هذه السياسة ؟..

هذه السياسة من وجهة نظرها تخدم مصالحها ومادامت إسرائيل محور هذه المصالح وما دام لا يوجد ردود فعل قوية من الدول العربية والإسلامية فما الذى يجعل أمريكا تغير سياستها المنحازة لإسرائيل ؟ .

• وماذا عن مستقبل بترول العراق ؟..

- السيطرة على بترول العراق قد يجلب المشاكل لأمريكا لأن بترول الشرق الأوسط يذهب لدول أخرى غير أمريكا ... وإذا فُرض

أن أمـريكا نجـحت فى السـيطرة على بتـرول العراق وهى مـسيطرة إلى حد ما على بترول الخليج سوى إيران يكون الموقف مختلف وتكون ورقة ضغط كبيرة تستخدمها أمريكا ضد قوى دولية أخرى كروسيا والصين واليابان ، وطبيعة البشر أنه لا يرضى بالديكتـاتورية سواء على مستوى الأفراد أو الدول ، فعلى مستوى الدول تجـد أمـريكا تمارس دور الإمـبـراطورية التى تفرض سيطرتها على الآخرين وهذا لا يرضى كثير من الدول الأوروبية وكثير من دول آسيا ولذلك تحـاول أمريكا أن تغرى هذه الدول بأن تشركها معها فى هذه الغنيمة .

- **ماذا بعد أفغانستان والعراق ؟..**

- كل الدول العربية والإسلامية مستهدفة . وأرى أن الذى يقف يتـفـرج على العـراق وهى تُضرب هو نفسه الواقف فى طابور ينتظر الدور حتى يُذبح ... ومصيبتنا أننا ننسى أو نتناسى مـا تعلمناه وتربينا عليـه فى الصـغـر من أن

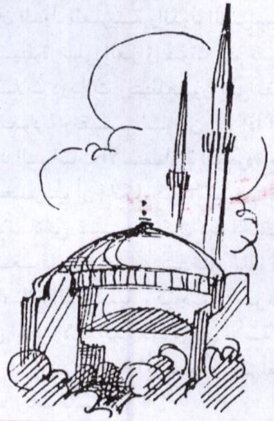

الاتحاد قـوة ... ولذلك إذا قُتل الثـور الأبيض فى العراق فكلنا ننتظر الذبح ...

- **ألا يفـرض هذا الأمر تعاون الأنظمـة مع شعوبها ؟..**

- ياريت ... مـفـروض أن يتـحـسـسـوا هذا الخطر المحـيط بهم ويتـحـركـوا جـادين ... لو حدث هذا ووجدت أمـريكا أن الشـعـوب قـد التـحـمت مع حكامـهـا جـبـهـة واحـدة ضـد المخططات الأمـريكيـة فلن تقدم على ضـرب العراق .

- **ما رأيك فى العمليات الاستشهادية كخبير إستراتيجى ؟..**

- أبارك وأشـجـع هذه العـمـليـات الاسـتـشـهـادية لأنهـا وصلت إلى مـرحلة ردع الطرف الأقوى المسلح بكافة الأسلحة التقليدية وغـيـر التـقـليـدية ، وبعـد مـرور سنتين على الانتـفاضة تم حصر عدد القتلى الإسرائيليين وجدوهم ٥٠٠ قـتـيل هذا أمـر عـظيم جـداً لا تسـتطيع إسـرائيل أن تتـحـمله لو اسـتـمـرت الانتفاضة والعمليات الاستشهادية .

- **ماذا عن مستقبل السلام ؟..**

- هل يوجـد الآن سـلام ؟ العـراق كل يوم يضرب ، فلسطين كل يوم تضرب ، والعرب لا يقومون إلا بالتنديد والشجب ، أين السلام ؟

- لا يمكن أن يتم سـلام عـادل إلا فى ظل توازن قـوى وتوازن ردع إذا وصلنا إلى مـرحلة الردع المتـبـادل سوف يكون هناك سلام عـادل يحقق الأمن ، ولكن طالما اختلت الموازين فلا يمكن أن يقـوم سلام والموازين مـختلة جداً الآن فإسـرائيل مـتـفـوقـة تفـوق سـاحق فى الأسلحة

التقليدية وأسلحة الدمار الشامل (النووى والكيماوى والبيولوجى) والعرب لا يملكون شئ ، وعلى المستوى السياسى فإسرائيل متفوقة علينا فأمريكا سياسياً تدعم إسرائيل وتؤيدها ولا تستطيع دولة من الدول الكبرى أن تستخدم حق الفيتو ضد أمريكا فإذاً التوازن غير موجود وبالتالى لا يمكن أن يكون هناك سلام .

• هل حقاً السادات مظلوماً ؟!..

- بعد مرور عشرات السنين سوف تظهر الحقائق ويتضح أكثر وأكثر أنه غير مظلوم ، فقد ارتكب فى حق مصر أخطاء كبيرة أخطرها اتفاقية كامب ديفيد وكل المصائب هى من نتائج هذه الاتفاقية .

• انعكاسات ما يحدث فى السودان على الأمن القومى المصرى ؟..

- كلنا يعرف أن المياه هى روح مصر فليس عندنا أمطار تقوم عليها الزراعة ومياهنا كلها من الحبشة والسودان وإذا انفصل جنوب السودان عن شماله فهو مقدمة التفتت فى

وادى النيل ، ومسألة المياه مسألة حياة أو موت يجب أن نهب كلنا للدفاع عن مصالحنا فى السودان والتى تمثل أمن قومى لنا ، لأن هناك تدخلات مشبوهة لإسرائيل فى هذه المنطقة جنوب السودان ، وهناك مشاريع مائية كبيرة فى جنوب السودان تضمن لنا وصول المياه وعدم ضياعها فى منطقة المستنقعات عن طريق قناة جونجرى هذه القناة الآن تحت سيطرة جون جارنج ...

• وماذا عن إيران ؟..

- أنا أعتبر أن إيران صديق إستراتيجى كما أعتبر أن إسرائيل عدو استراتيجى بنص القرآن الكريم ﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ... ﴾

أما أمريكا فأعتبرها عدو مرحلى طالما بقيت متحالفة مع إسرائيل ، وأحد استراتيجيات الاستعمار سياسة (فرق تسد) أى الوقيعة بين الدول العربية والدول الإسلامية وبين الدول العربية والدول العربية فلو تم السيطرة على العراق سوف يتم تقسيمها لثلاث دويلات ويتطلعون إلى تقسيم السعودية وتقسيم السودان ... إذاً التفتيت أحد السياسات الاستعمارية الموجودة حتى الآن والغريب أن الحكام فى العالم العربى والإسلامى غير مدركين هذه الحقيقة أو يتغافلون عنها منشغلين بلذة الكرسى والمصالح الشخصية ، فيجب أن نتوحد وأدين كل المحاولات التى تفرق بين الأمة الواحدة عربها وغير عربها (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) .

مع الباعة والمكتبات ودور النشر

خصم ٢٠٪ لقراء المختار الإسلامى وللجملة سعر خاص

اسم الكتاب	اسم المؤلف	السعر
مكتبة أحمد ديدات (٨ أجزاء)	أحمد ديدات	١١٧,٠٠
كلمتنا فى الرد على أولاد حارتنا	عبد الحميد كشك	٢٠,٠٠
قصة أيامى - مذكرات الشيخ كشك	عبد الحميد كشك	٢٠,٠٠
فتاوى الشيخ كشك (جـ١ إلى جـ٧)	عبد الحميد كشك	١٠٢,٠٠
آيات الرحمن فى خلق جلد الإنسان	د. محمد زكريا	٦,٠٠
علم اليقين فى خلق الجنين	د. محمد زكريا	٧,٠٠
آيات الرحمن فى خلق قلب الإنسان	د. محمد زكريا	٨,٠٠
آيات الرحمن فى خلق عين الإنسان	د. محمد زكريا	١٠,٠٠
آيات الرحمن فى خلق سمع الإنسان	د. محمد زكريا	١٠,٠٠
سيد قطب بين معارضيه ومؤيديه	أحمد عبد المجيد	١٥,٠٠
عقيدة الشهيد المفترى عليها	ولاء حامد	٥,٠٠
محاولة فاشلة لتنصير طالب أزهرى	د. عبد الودود شلبى	٥,٠٠
القابضون على الجمر	محمد أنور رياض	١٢,٠٠
مختصر السيرة النبوية	د. صلاح عدس	٤,٠٠
قصص القرآن للأطفال (١٥ جزء)	عماد الدين شرف	٤٥,٠٠
قصص الحيوان المصورة بالألوان	عاطف سعودي	٤,٠٠
الإسلام بين جهل ابنائه وعجز علمائه	عبد القادر عودة	٤,٠٠
المال والحكم فى الإسلام	عبد القادر عودة	٥,٠٠
الإسلام وأوضاعنا السياسية	عبد القادر عودة	١٠,٠٠
الإسلام وأوضاعنا القانونية	عبد القادر عودة	٥,٠٠
البابا الذى لا يعرف شيئا	د. عبد الودود شلبى	٦,٠٠

ومقرنا : ٣ حارة الجمل - السيدة زينب - تليفون وفاكس ٢٣٩٢٢١٥١

سلسلة روايات إسلامية

حاليا مع الباعة والمكتبات
وتوزيع الأخبار